المعاني الرسالية
من حركة السيدة الزهراء (عليها السلام)

من خطب سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

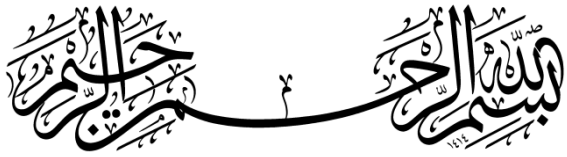

اسم الكتاب: المعاني الرسالية من حركة السيدة الزهراء(عليها السلام).....
من خطب سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله).....
الطبعة : الاولى.....
السنـــة: ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م.....
جميع الحقوق محفوظة للناشر

الفصل الأول:
القرآن الكريم ومقامات السيّدة الزهراء وأهل البيت (عليهم السلام)

القرآن الكريم ومقامات السيّدة الزهراء وأهل البيت (عليهم السلام)[١]

بمناسبة ميلاد السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) نحاول أن نتعرّف على بعض مقاماتها وملامح عظمتها من خلال

[١] كلمة سجّلها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة ذكرى ميلاد السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم ٢٠/ج٢/١٤٣٤ الذي وافق ٢٠١٣/٥/١. وعرضت من قناة النعيم الفضائية.

استقراء الآيات الكريمة وبمعونة الأحاديث الشريفة وهي كثيرة نعجز عن استقصائها، ونفس أسمائها وألقابها كاشفة عن مقاماتها (الطاهرة، المعصومة، الراضية، المرضيّة، أمّ أبيها، سيّدة نساء العالمين، الكوثر، المحدَّثة، البتول) وغيرها.

التلازم بين القرآن واهل البيت (عليهم السلام):

لكنّنا نشير اليوم باختصار إلى مقاماتها (سلام الله عليها) الّتي نتعرّف عليها من خلال الاقتران والتلازم بين القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام) –وهي منهم-، هذا التلازم الّذي أفاده حديث الثقلين الذي أجمع الفريقان[1] على صحّته وصدوره عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ففي مسند أحمد بن حنبل (١٨١/٥ ح٢١٠٦٨) بسنده عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل مدود ما بين السماء والأرض- أو ما بين السماء إلى الأرض- وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض) ورووه عن جمع غفير من الصحابة.

لا يرتاب مسلم في معنى أهل البيت (عليهم السلام):

---

[1] لمعرفة مصادره من كتب العامّة راجع (فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ٥٢/٢).

وقد بيّن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقول وبالفعل المقصود من أهل البيت في مواطنٍ كثيرة وهُم علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، ففي مستدرك الصحيحين روى بسنده عن أمّ سلمة أنّها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب/٣٣) قالت: فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال: (اللهمّ هؤلاء أهل بيتي) قالت أمّ سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنّك إلى خير. وهؤلاء أهل بيتي اللهمّ أهل بيتي أحق).[١]

ولا حاجة بعد هذا للدخول في مناقشات لغوية في معنى أهل البيت ومن هو المشمول بها بعد أن حدّد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه المراد بهذا العنوان.

الزهراء (عليها السلام) عِدل القرآن الكريم:

فالسيّدة فاطمة الزهراء من أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم –بموجب حديث الثقلين- صنو القرآن وعدل القرآن ولا يفترقان حتّى يردا الحوض يوم القيامة، ومن هذا الاقتران والملازمة نستنتج

[١] راجع مصادر الحديث في المصدر السابق: ١/ ٢٦٩.

خصائص كثيرة ومقامات رفيعة لأهل البيت (عليهم السلام) وللصدّيقة الطاهرة (عليها السلام) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) لتضاف إلى الأدلّة على إمامته وتقدّمه على الخلق أجمعين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منها:

١- **مقام العصمة**، لأنّ القرآن (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلّت/٤٢) وكذلك السيدة الزهراء (عليها السلام) معصومة بغضّ النظر عن الأدلة الأخرى على عصمتها كآية التطهير وغيرها.

٢- **مقام العلم والإحاطة بكل شيء** ممّا علمهم الله تبارك وتعالى فقد وصف الله تعالى كتابه الكريم بقوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ) (النحل/٨٩) وقال تعالى (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الأنعام/٣٨) فالسيدة الزهراء (عليها السلام) لها هذا المقام من العلم والإحاطة بمعرفة كلّ شيء وهو فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، قال تعالى (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء) (البقرة/٢٥٥).

٣- **والقرآن له مقام الإمامة والقيادة والحجة** ولزوم الطاعة على الخلق أجمعين (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

فَانتَهُوا) (الحشر/٧) وقال تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم/٣-٤) وللقرآن مقام الإمامة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً وقائداً) فكذلك السيّدة الزهراء (عليها السلام) لها مقام الإمامة والقيادة ولزوم الطاعة على الخلق أجمعين، لذا روي عن الإمام العسكري قوله (نحن حجج الله على خلقه وجدّتنا فاطمة حجّة الله علينا).[١]

٤- **والقرآن هو الحق والحقّ معه** (هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ) (الجاثية/٢٩) (فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) (الذاريات/٢٣) وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام) فإنّ الحقّ يدور معها حيث دارت.

٥- **وللقرآن القيمومة[٢] العليا المطلقة** على الخلق قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا* قَيِّماً) (الكهف/١-٢) كما أنّ القيّم على الأسرة أو المجتمع له الولاية عليهم يقودهم ويدلّهم على ما يصلحهم ويسعدهم، فكذلك الزهراء (عليها السلام) لها القيمومة على الناس ومنهجها هو المنهج القيّم

---

[١] خطاب المرحلة: ٧/ ٥٢.

[٢] شرحنا معاني هذه الصفات للقرآن في فصل (القرآن يصف نفسه) في كتاب (شكوى القرآن).

والمستعلي على المناهج كلّها، وقد علّلت الآية علّة القيمومة بأنّ لا عِوَجَ له.

٦- **والقرآن مبارك** (وَهَـذَا كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ مُبَـارَكٌ) (الأنعام/٩٢) (كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ إِلَيْكَ مُبَـارَكٌ) (ص/٢٩) فهو كثير البركة والخير والعطاء ومبارك في آثاره على النفس والمجتمع لأنّه مصدر الهداية والإرشاد والسعادة والحياة المطمئنة للبشرية ومصدر العلوم كلّها، وهكذا الزهراء (عليها السلام) كثيرة البركة وعطائها لا ينفد، حتّى أنّ الله تعالى سمّاها الكوثر الذي يعني الخير الكثير.

٧- **والقرآن عصمة للأمة من التفرّق** والتشتّت والضياع (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) (آل عمران/١٠٣) والقرآن وأهل البيت (عليهم السلام) هم الحبل الممدود الذي يعصم الأمّة، وفي هذا قالت السيّدة الزهراء (عليها السلام) (وجعل إمامتنا نظاماً للملّة وأماناً من الفرقة).

٨- **والقرآن عزيز يصعب منالـه** في كتابٍ مكنون لا يمسّه إلاّ المطهّرون، وعزيز لأنّه قاهرٌ غالب على من خاصمه، وهو عزيز يندر وجود مثله، وعزيز لأنّه يمتنع عن النيل بسوء، وعزيز لأنّه

مطلوب وكلّ مفقودٍ مطلوب، وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام) عزيزة بكل هذه المعاني.

٩- **والقرآن موعظة وشفاء وهدى ورحمة للعالمين** كما وصف نفسه وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام).

١٠- **وللقرآن مقام الشفاعة** كما وصفه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (فعليكم بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفّع).[١]

وللزهراء (عليها السلام) الشفاعة يوم القيامة حتّى ورد في الرواية أنها (عليها السلام) تلتقط مواليها ومحبّيها يوم المحشر كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء.

١١- **والقرآن مخاصم لمن هجره** وأعرض عنه ولم يعمل به وحجّته غالبة ومصدّقة من دون بيّنة أو دليل كما وصفه النبي (صلى الله عليه وآله) بأنّه (ما حل مصدّق) أي مخاصِم مصدّق فيما يقول وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام) ستخاصم من ظلمها وأنكر حقّها وجحد ولايتها، وهي مصدّقة في دعواها.

١٢- **والقرآن خالد محفوظ** إلى يوم القيامة (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر/٩) وهكذا الحجج من أهل البيت (عليهم السلام) باقون ببقاء القرآن وهذا دليل على وجود الإمام المنتظر

---

[١] ميزان الحكمة: ٧/ ٢٣٨ وكذا الأحاديث التالية في نفس المصدر.

(عليه السلام) وذكر فاطمة وأهل البيت (عليهم السلام) باقٍ إلى يوم القيامة ونورهم باقٍ مهما حاول الحاسدون والمنافقون والمبغضون إطفاءه والقضاء عليه وإزالته (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف/٨).

١٣- **وفي التمسّك بالقرآن النجاة من الفتن،** عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (إنّها دار بلاء وابتلاء وانقطاع وفناء، فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار)، فالتمسك بهدى الزهراء (عليه السلام) ينجي من الفتن ويقود إلى الهداية.

١٤- **والقرآن (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ)** (الطارق/١٣-١٤) وهكذا كلمات فاطمة (عليها السلام) كلّها فاصلة ليس فيها هزل لا محصّل من ورائه أو هزيلة خالية من المعاني.

١٥- **والقرآن أنيس،** يقول الإمام زين العابدين (عليها السلام): (لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشتُ بعد أن يكون القرآن معي) وهكذا ذكر السيّدة الزهراء وأهل البيت (عليهم السلام) فإنّه أنيس للمحبّين والموالين وبلسم لنفوسهم المتعبة).

١٦- **والقرآن لا يبلى ولا يُملُّ بكثرة التكرار،** قال امير المؤمنين (عليه السلام) لا تُخلقهُ كثرةُ الرّد وولوجُ السمع) وهكذا ذكر

الزهراء (عليها السلام) كلما يتكرّر يزدادُ اقبالاً وبهجة حتى لو استمر طيلة أيام السنة وعلى مدى السنين.

١٧- **ولمن حمل القرآن وتعلّمه وعلّمه أجر عظيم**، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبوسون بنور الله عزّ وجل) فلمن أحيا ذكر الزهراء (عليه السلام) ونشر فضائلها ومناقبها ومظلوميتها مثل هذا الأجر العظيم.

١٨- **وإنّ على حامل القرآن أن يتّصف بالخير**، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله (إنّ أحقّ الناس بالتخشّع في السرّ والعلانية لحامل القرآن، وإنّ أحقّ الناس في السر والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن) فعلى الموالين للسيّدة الزهراء (عليها السلام) ان يكونوا على مثل هذه الخصال الكريمة.

١٩- **وللقرآن ارتباط وثيق بليلة القدر** وكان نزوله فيها (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (القدر/١) (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) (الدخان/٣) وللسيّدة الزهراء (عليها السلام) ارتباط وثيق بليلة القدر؛ ورد في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) (فمن

عرف فاطمة (عليها السلام) حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر)[١]، وقد شرحنا في بعض أحاديثنا وجوهاً لهذا الحديث.

٢٠- **ومن آداب تلاوة القرآن أن يُقرأ بالحزن،** عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (اقرأوا القرآن بالحزن فإنّه نزل بالحزن)، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) (اقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا)، ومن وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) للمتّقين (أمّا الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونها ترتيلا يحزّنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم) فكذلك السيّدة الزهراء (عليها السلام) لا تُذكر إلاّ ويفيض القلب حزناً لذكراها، فضلاً عمّا لو ذُكرت مظلوميتها، روي أن رجلاً دخل على الإمام الصادق (عليه السلام) وقد وُلدت له بنت فقال (عليه السلام) (ما سمّيتها؟ قال: فاطمة فقال (عليه السلام) (آه آه آه ثم وضع يده على جبهته – إلى أن قال- أما إذا سمّيتها فاطمة –فلا تسبّها ولا تلعنها ولا تضربها).[٢]

وهذه الخصائص التي ذكرناها للزهراء (عليها السلام) ثابتة للأئمة الأطهار (عليهم السلام) لكونهم من أهل البيت (عليهم السلام) وإنّما

---

[١] راجع مصادره في الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (عليها السلام): ٤٣٨/١٨.

[٢] وسائل الشيعة كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب ٨٧.

خصصنا السيّدة الزهراء (عليها السلام) بالذكر لأنّها صاحبة المناسبة.

إن ما قمنا به من بيان هذه المقامات لأهل البيت (عليهم السلام) فيه دعوة لإتباع هؤلاء السادة الهداة تلبية لدعوة الإمام (عليه السلام) (قال الرضا (ع) : رحم الله عبدا أحيا أمرنا ، فقيل له : وكيف يُحيي أمركم ؟.. قال : يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس ، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا)[١]

[١] جواهر البحار، الجزء الثاني، كتاب العلم، عن كتاب: معاني الأخبار.

الفصل الثاني:
فاطمة (عليها السلام) الكوثر

فاطمة (عليها السلام) الكوثر[1]

فاطمة الزهراء (عليها السلام) عطاءٌ متنوع:

ثمانية عشر عاماً هو العمر الذي قضته الزهراء فاطمة بنت رسول الله (صلوات الله عليهما) في هذه الدنيا، وهو قصير في عمر الزمن، إلا أنه كان حافلاً بالعطاء والسمو والكمال.

منذ بداية وجودها وتكوّنها وهي تؤدي وظيفتها الرسالية بمؤانسة أمها خديجة الكبرى وردّ الوحشة عنها حيث عاشت عزلة ومقاطعة من نساء قريش بسبب إيمانها بما جاء به زوجها الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت خديجة تفرح بذلك وتذكره لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيفرح أيضاً ويخبر زوجته بعظمة شأن هذه الوليدة.

مع آلام النبوة:

وتحمّلت مع أبيها (صلوات الله عليهما) وهي في السنين الأولى من عمرها أذى قريش فكانت تواسيه وتسلّيه وترفع عنه الأذى وتحمّلت معه (صلى الله عليه وآله وسلم) المعاناة والألم والجوع في شِعب أبي طالب ثلاث سنين حين فرضت قريش على بني هاشم

---

(١) نص الخطاب الذي وجهه سماحة الشيخ اليعقوبي إلى عشرات الآلاف من المؤمنين المجتمعين في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف قدِموا إليها من مختلف المحافظات بما فيها صلاح الدين وكركوك قبل انطلاقهم في مواكب العزاء إلى الحرم العلوي المطهّر بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في ٣ جمادى الثانية ١٤٢٩ هجـ، المصادف ٢٠٠٨/٦/٧ م. وهي المرة الوحيدة التي لم يلقه سماحته بنفسه لبعض الموانع وأُلقي بالنيابة عنه، وقد قاطعته الحشود في عدة مواضع بهتافات (نعم نعم للإسلام، نعم نعم يا ربي، هيهات منا الذلة، لبيك لبيك يا علي، لبيك يا زهراء، الله أكبر لا إله إلا الله، نِعمَ الحكم الله ونعم الخصيم محمد).

ومن آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقاطعةً اقتصادية واجتماعية وعزلتهم في الشعب، وما انتهت هذه السنوات العجاف إلا بوفاة عضدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وركنيه عمّه أبي طالب وزوجته خديجة فسمي عام الحزن فعاشت الزهراء (عليها السلام) اليتم وفقدان هذه الأم العظيمة وهي لم تكمل ثمان سنين.

ولم يفتّ ذلك في عزيمتها وإرادتها في نصرة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومؤازرته بل أغدقت عليه من العواطف والحنان والرحمة ما عوّضه عن أمه وزوجته حتى سمّاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ(أم أبيها) فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يجد عندها قلب الوالدة الرحيمة ودفء عواطف الزوجة الودودة وأنس الخليل المؤالف.

وعندما عزمت قريش على استئصال وجود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة وأمره ربه بالهجرة إلى المدينة فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلّف علياً (عليه السلام) في فراشه للتمويه على الأعداء ثم لحقه بالفواطم نهاراً على مرأى ومسمع من طواغيت قريش الذين شعروا بالذل والهوان من هذا التحدي فأخرجت مجموعة مقاتلة لإعادة علي والنساء إلى مكة فواجههم أمير المؤمنين (عليه السلام) وقتل مقدمتهم فولّوا منهزمين وكانت الزهراء (عليها السلام) في ذلك الركب وتلك الرحلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر.

الزهراء (عليها السلام) في ذاكرة النبوة:

في الخصال للصدوق عن ابن عباس قال: خط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربع خطط في الأرض وقال: (أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم): أفضل نساء أهل الجنة أربع: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)[١].

ولما هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة وأمر علياً (عليه السلام) أن يلحقه بالفواطم (فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة الزهراء وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب) فخرج بهن أمير المؤمنين (عليه السلام) راجلاً، واعترضه عدد من فرسان قريش، فقتل أشجعهم (يسمى جناح) وتفرقوا عنه وأمه تنظر إليه وهي فخورة به، حتى وصلوا إلى المدينة بعد ذلك السفر المضني[٢]، وكانت امرأة قد تجاوزت السبعين من العمر – لأن عمر طالب أكبر أبناءها كعمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين الهجرة، وهو ٥٣ عاماً، فلا أقل يكون عمرها ٧٠ سنة – ولم يقعدها عن أداء دورها كبر السن وقد تجاوزت السبعين وطول المسافة- حوالي أكثر من عشرة أيام - وصعوبة السفر والأخطار التي كانت تحيط بهذه السفرة، لأن قريشا بعد أن أفلت منها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تكن ترضى بأن تلحقه عائلته وفي وضح النهار وعلى مرأى منهم – لذلك تصدوا للإمام علي (عليه السلام).

في المدينة:

وفي المدينة المنوّرة توسّعت المسؤولية وتنوعت أكثر فقد بدأ الجهاد من أجل بناء الدولة الإسلامية وبناء الأمة الإسلامية وبناء الأسرة الصالحة والمواجهة المسلحة مع أعداء الرسالة والدولة الفتية، وكانت الزهراء في قلب هذه المسؤوليات وقطب الرحى منها:

---

(١) وهذا الحديث مروي بطرق متعددة توجد في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر المطبوع على هامش الإصابة لابن حجر .

(٢)انظر الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٠٦.

فهي المجاهدة التي تخرج مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجها أمير المؤمنين في المعركة لتداوي الجرح وتخفف الألم وتقدم المساعدة وتجهّز عدة القتال.

وهي الأم التي تعين ولديها سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيدي شباب أهل الجنة وتيسّر لهم سبل الكمال، ففي كتاب مفاتيح الجنان أنها كانت توفّر لهما قسطاً من الراحة في النهار ليتقويا على إحياء الليل بالعبادة خصوصاً في ليالي العشر الأواخر من شهر رمضان بالعبادة.

وهي الزوجة الصالحة المتكاملة وقد شهد لها بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) حين سألته وهي توصي في ساعاتها الأخيرة: (يا ابن العم هل عهدتني كاذبة أو خائنة أو خالفتك منذ عاشرتني) فكان جوابه (عليه السلام): (معاذ الله أنت أبرّ وأوفى وأتقى من أن أوبّخك بمخالفتي)[١] وقد لفتت (سلام الله عليها) بسؤالها أذهاننا إلى أصل كل أسباب الخلافات التي تحصل بين الزوجين وتؤدي إلى انهيار بيت الزوجية.

وهي المتابعة لتعاليم أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتوجيهاته وهمومه أولاً بأول فكانت كلما يعود ولداها الحسن والحسين (عليهما السلام) من مسجد جدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تسألهما عما حدث من نزول وحي أو صدور أمر أو جواب مسألة وغيرها.

وهي العابدة التي تزهر في محرابها أنساً بلقاء ربها؛ قال الإمام الحسن (عليه السلام): (رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين

---

(١) البحار: ج٤٣ ص١٩١.

لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار)[١].

وهي المبادِرة لعمل كل ما يرضي الله ورسوله ويريده الله ورسوله وإن لم يصدر به أمر وإنما تندفع إلى العمل بمجرد علمها بإرادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له؛ (دخل عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للسلام عليها بعد قدومه من سفرٍ له وفي عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها علي بن أبي طالب من فيء وغنيمة أصابها فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا فاطمة لا يقول الناس إن فاطمة بنت محمد تلبس لباس الجبابرة فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فأعتقتها فسُرَّ بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))[٢].

وهي المصونة العفيفة، روى الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخدمة فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب وقضى على عليٍ بما خلفه، قال: فقالت فاطمة فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله بإكفائي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحمّل رقاب الرجال)[٣]

نحلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

ولما منّ الله تعالى بنصر نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) على اليهود وغنم منهم فدك الأرض الزراعية الواسعة – كانت خالصةٌ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، والقرآن يقول ما دام لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فهي تكون خالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونزل قوله تعالى: **[وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ]**(الإسراء:٢٦) قال الروح الأمين

---

(١) علل الشرائع، ص١٨٢، الباب ١٤٥، ح١.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج٢، ص٤٤، باب٣١، ح١٦١.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٣، ص٨١، عن قرب الإسناد، ص٥٢، ح١٧٠.

لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله يأمرك أن تدفع فدك إلى فاطمة[١] نحلة عوضاً عما بذلته أمها خديجة من أموال في سبيل الإسلام، فكانت بيدها (عليها السلام) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حين وفاته.

بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم):

وكان التحدي الأكبر ينتظرها بعد رحيل أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أعدّها (صلى الله عليه وآله وسلم) لمواجهته وأنبأها بما سيحصل ولخّصه (صلى الله عليه وآله وسلم) لأهل بيته وخاصته بقوله: (أنتم المستضعفون بعدي)[٢].

فمن جهة كان عليها أن تدافع عن الإمامة الحقّة المتمثلة بأمير المؤمنين (عليه السلام) وتثبت حقه بخلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتدمغهم بالحجج الواضحة.

ومن جهة ثانية تنوّر بصائر الأمة وترفع عنهم الغشاوة وتبين الازدواجية في المعايير التي يتبعها القوم إذ ترث الأزواج من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحرم البنت بحجة أنهم سمعوه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (إنا معاشر الأنبياء لا نورّث) ويحتجّون على الأنصار وغيرهم بأنهم أحق بالخلافة لأنهم شجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتركون ثمرته وهم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ومن جهة ثالثة عليها أن تديم الثورة والرفض لكل ظلم وانحراف بالوسائل المتيسرة فألقت الخطب التي كانت تنزل كالصواعق على أصحاب أبيها في المسجد الشريف وعلى نساء الأنصار اللواتي نقلن كلامها إلى رجالهن، ومن خلال حزنها

---

(١) انظر الكافي: ج١ ص٥٤٣، وعيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٣٣، وتفسير العياشي: ج٢ ص٢٨٧.

(٢) البحار: ج٢٢ ص٤٦٩.

وبكائها المتواصل الذي انتشر وذاع في أرجاء المدينة مما سبب حرجاً لظالميها فطلبوا من علي (عليه السلام) أن ينشئ لها بيتاً خارج المدينة تبثّ فيه حزنها وشكواها إلى الله تبارك وتعالى.

وبقي عطاؤها (عليها السلام) مستمراً لا ينفد بعد استشهادها إلى قيام يوم الساعة حينما أوصت بدفنها سراً ليلاً وأن يُعفى موضع قبرها، ولا يحضر تشييعها من ظلموها لتهدي البشرية إلى الحق ولتحميه من الاندراس والضياع وتميّزه عن الباطل.

الزهراء (عليها السلام) الأسوة الحسنة:

هكذا باختصار تنوّع عطاء الزهراء (عليها السلام) وهكذا نهضت بمسؤولياتها العظيمة التي تناسب عظمة شخصيتها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظُم في عين الصغير صغارها ... وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ

والزهراء (عليها السلام) أسوة حسنة للرجال قبل النساء فلنستلهم من الصديقة الطاهرة الهمّة والعزيمة في الوفاء بما عاهدنا الله تبارك وتعالى من الإيمان به وبما جاءت به رسله ونزلت به كتبه والعمل بما يحبّ ويرضى مما فيه صلاح الأمة وخيرها فإننا مساءلون غداً عن كل شيء قال تعالى: **[وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ]** ويأتيهم التوبيخ والازدراء **[مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ، بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ]** (الصافات: ٢٤-٢٦) وهذا ما ذكّرتنا به الزهراء (عليها السلام): (فنعم الحكم الله ونعم الخصيم محمد)[1] ، الحكم هو الله تبارك وتعالى الذي **[لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ ولا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إلا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ]** (سبأ:

([1])دلائل الإمامة: ص٣٤.

٣) والخصيم الذي يرفع دعوى الظلامة هو الذي لا تُرجى النجاة إلا بشفاعته فكيف ينجو من كان شفعاؤه خصماءه.

من الشعارات الفاطمية:

ليجعل كل واحد منّا هذه التحذيرات نصب عينيه خصوصاً الذين يتولون أمر الأمة وشؤون البلاد وبيدهم مقدّرات الشعب سواء كانوا قيادات دينية أو سياسية أو اجتماعية فإن كل واحد من هذا الشعب المضطهد المحروم يصرخ في وجوههم بلوعة وأسى ويردد ما قالته الزهراء (عليها السلام): (فنعم الحكم الله ونعم الخصيم محمد) على كل حرمان من حقوق الحياة الكريمة في المأكل والملبس والمسكن والزواج.

وعلى كل سوء في الخدمات كالماء والكهرباء بلغ حد الانهيار.

وعلى كل فقير جائع حتى بلغت نسبة العراقيين تحت خط الفقر ٤٠% أي حوالي ١٢ مليون إنسان.

وعلى كل مريض يعاني الألم حتى يفقد حياته ولا يجد في المستشفيات وسائل الرعاية اللازمة والدواء الكافي.

وعلى كل مهجّر على رغم إرادته في داخل العراق وخارجه حتى بلغوا الملايين وأصبحوا مشكلة عالمية.

وعلى كل يتيم لا يجد من يمسح رأسه بعد أن فقد أبويه بسبب الصراع الدموي المحموم على السلطة بين الفرقاء السياسيين.

وعلى كل دمٍ بريء سفك من غير حقّ ولا شأن له بما يجري غير أن المتخاصمين جعلوا بيوت الأبرياء ساحة لمعركتهم الظالمة.

هذه هي المعايير المزدوجة التي فضحتها الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) والتي نعيشها اليوم وتعاني منها الأمم وعلى مرّ الأجيال فكيف يحاكِم مجرماً ما على فعلِه من يرتكب نفس الجريمة ففي الحديث الشريف: (لا يقيم الحد من لله عليه حد)[١] ،

---

(١) الكافي: ج٧ ص١٨٧.

وهذه هي الازدواجية في المعايير والنظر بعين واحدة التي حذّر منها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعلها سبباً لهلاك الأمم فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)[١].

الصراع مع الهوى والنفس الأمارة:

هذا أول التحديات التي نواجهها ويستمر معنا ما دمنا في هذه الدنيا إنه الصراع مع أهواء النفس وأنانيتها والسعي الحثيث لضبط شهواتها ونزواتها وإنصاف الآخرين منها وأن نحب للناس ما نحب لها ونكره لهم ما نكره لها إن لم نرتقِ أكثر ونؤثر الآخرين على أنفسنا تأسّياً بالزهراء (عليها السلام) التي أطعمت المسكين واليتيم والأسير وبقيت هي وبعلها أمير المؤمنين وولداها الحسن والحسين (عليهم السلام) طاوين بلا طعام ثلاثة أيام فنزلت سورة (هل أتى) لتسجيل هذه المكرمة لهم وبيان فضلهم وكرامتهم[٢].

التحديات الأخلاقية:

وأمامنا تحديات أخلاقية واجتماعية، فإنكم ترون أنه كلما استقر الوضع وحصل شيء من الدعة والاسترخاء انتشرت المعاصي والموبقات وحينما تقرر بعض الإدارات المحلية[٣] منع تجارة الخمور والتداول العلني لها استناداً إلى الدستور الذي منع إقرار أي مخالفة لثوابت الإسلام تنتفض وسائل الإعلام وتعقد الندوات لهذا الاعتداء السافر على الحريات الشخصية - بحسب ما يزعمون- بشكل يثير العجب أن تنال قضية محلية جزئية كل هذا الضجيج ويكشف عما وراء ذلك من أهداف. أوَليس من حق الحكومات أن

---

(١) سنن ابن ماجة والنسائي وأبي داوود وابن حجر في فتح الباري.

(٢) انظر مجمع البيان ج٩-١٠ ص٤٠٤، والصافي: ص١٣٠٠.

(٣) في إشارة إلى قرار المنع الذي اتخذته الحكومة المحلية في البصرة يومئذ.

تحمي شعوبها من كل المخاطر والأضرار؟ وتمنع التدخين في الأماكن العامة وتحرم المخدرات وتعتبرها جريمة يعاقب عليها القانون وتمنع الدول الغربية تناول الخمور ممن هم دون (١٨) سنة أو أثناء قيادة السيارات، فلماذا هذا الضجيج على قرار تلك الحكومة المحلية وما الفرق بين هذه القرارات، أوَليست الخمر (أم الخبائث) كما ورد في الحديث الشريف؟ فما لكم كيف تحكمون.

إنهم يريدون بذلك أن يهزموا إسلامنا العظيم ويريدون أن تتخلوا عن الإسلام وتشعرون بالحياء والحرج من إعلان انتمائكم لدينكم.

التحديات الاقتصادية:

وأمامنا أيها الأخوة تحديات اقتصادية فيوشك أن تفتح الأسواق العراقية للاستثمارات الأجنبية فتغزوه الشركات العملاقة العابرة للقارات وسوف لا يجد أبناء هذا البلد فرصة للتنافس معهم بل قد لا يجدون فرصة للعمل كأُجراء في مشاريع هذه الشركات على أرضهم لوجود أيدي عاملة أرخص تأتي بهم هذه الشركات من دول العالم المتخمة بالموارد البشرية[١] أو تفرض تلك الشركات على من يعمل فيها أن يترك صلاته أو المرأة حجابها أو أن يلتزموا بسياقات العمل التي تفرض عليها أشياء محرمة فيكون العامل بين خيارين (أحلاهما مرّ) إما أن يتخلى عن دينه أو عن عمله ومصدر رزقه، والحكومة ماضية في تقليل الدعم للبطاقة التموينية والمشتقات النفطية وخصخصة الشركات العامة والمؤسسات الصناعية استجابة لشروط البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية.

التحديات السياسية:

---

(١) وقد وقعت كل هذه الأمور التي حذر منها سماحته حيث أغرقت السوق بعد ذلك بالعمالة الأجنبية خصوصاً من دول جنوب شرق آسيا بينما يفترش العراقيون العاطلون الأرصفة حتى تعالت صيحات الاحتجاج والرفض.

وأما الفتن السياسية[١] التي تعصف بنا فإنها أهلكت الحرث والنسل وخرّبت البلاد وأهدرت المليارات وصارت أرواح الناس الأبرياء وممتلكاتهم مرهونة بجرّة قلم تشعل المواجهة أو جرّة قلم توقفها ولا رأي للشعب المغلوب على أمره، هذا غير الاتفاقيات[٢] والصفقات التي تُنَظَّم في الظلام من دون إطلاع الشعب وقادته المخلصين ولا يعلم مخاطرها إلا الله تبارك وتعالى.

مواجهات فاصلة في التاريخ:

لقد تنوع عطاء الزهراء بتنوع المسؤوليات التي تحمّلتها والتحديات التي واجهتها فصدر منها هذا الخير الكثير حتى فُسّر قوله تعالى: **[إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ]** (الكوثر:١) بالزهراء فاطمة (عليها السلام) لأن الكوثر هو الخير الكثير وقد كانت الزهراء كذلك فتركت للأجيال ما يغنيهم في طريق السمو والكمال ويرسّخ عقائدهم ويثبّت أقدامهم في مواجهة الفتن والتحديات المتنوعة فلا مشكلة إلا وحلّها عند الصديقة الطاهرة وأبيها وبعلها وبنيها صلوات الله عليهم أجمعين.

لقد اختاركم الله تعالى أيها الشعب الكريم: يا أحباب الزهراء ويا شيعة الزهراء أيها السائرون على درب الزهراء (عليها السلام) يا من اجتمعتم اليوم لزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) وتعزيته بانهداد ركنه بضعة النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) فتكتب لكم بذلك زيارتها لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ومن زار علي بن أبي طالب فكأنما زار فاطمة)[٣] لتعويضكم عما

---

(١) في إشارة إلى ما حل بالبلاد نتيجة المغامرات العبثية التي أدت إلى معارك (صولة الفرسان) وأمثالها.

(٢) يشير سماحته إلى الاتفاقية الإستراتيجية التي كانت تجري مناقشة بنودها بين الأمريكان والقوى السياسية الحاكمة التي تدعمهم.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٣، ص٥٨، عن كتاب بشارة المصطفى، ص ١٣٧.

فقده غيركم من نعمة زيارة قبرها، اختاركم واختار هذه الأرض الطيبة المعطاء لتكون ساحة لعدة مواجهات فاصلة في التأريخ تحدد معالم حركة التأريخ في المستقبل:

الأولى: المواجهة الحضارية بين الغرب المادي الذي يريد أن (يعولم) الشعوب ويصبغها بلون ثقافته وسلوكه وعقيدته ونمط حياته وتوجهاته الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وبين الشرق المسلم الذي يريد أن يحافظ على دينه وأخلاقه وأصالته وأعرافه.

الثانية: بين الأنظمة الدكتاتورية والمستبدة الحاكمة في المنطقة التي تسلّطت على شعوبها بالقوة وصادرت إرادتهم واستعبدتهم واستأثرت بخيراتهم وكرّست الجهل والخنوع والاستسلام في نفوسهم، وبين حياة حرّة كريمة تحترم إرادة الأمة وتجعل القيمة العليا للإنسان وتكون الدنيا وما فيها من أجله ويكون هو لله تبارك وتعالى فلم تعد الشعوب آلات يحقق بها الحاكم شهواته ومطامعه ونزواته **[مَا أُرِيكُمْ إلا مَا أَرَى]** (غافر:٢٩) **[أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى]** (النازعات:٢٤).

الثالثة: المواجهة بين أدعياء الإسلام زوراً الذين شوّهوا صورة الإسلام والمسلمين بما ارتكبوا من جرائم مشينة باسم الجهاد والتكفير والمقاومة وليس السبب في الحقيقة إلا الاختلاف في الرأي فسوّدوا صحائف التأريخ، والمتقمصين ظلماً وعدواناً لإمامة الأمة وقيادتها وبين أتباع الإمامة الحقة التي عيّنها الله تبارك وتعالى وبلّغ بها رسوله الكريم وما زالوا منذ أربعة عشر قرناً يدفعون على هذا الطريق دماءً زكية قدّسها الله تعالى ورفع من شأنها.

إنها مواجهات لإحقاق الحق والدفاع عن عزة الأمة وكرامتها وضمان سلامة مسيرتها، **[إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ]** (الصافات:٦٠-٦١) **[خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ]**(المطففين:٢٦).

الفصل الثالث:
يوم الزهراء (عليها السلام) يوم الفرقان

يوم الزهراء (عليها السلام) يوم الفرقان [١]

يوم بدر كان فرقاناً بيم الحق والباطل:

([١]) المقطع الأول من الخطاب الذي ألقاه سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على عشرات الآلاف من المؤمنين الذين تجمّعوا لإحياء ذكرى استشهاد الزهراء (عليها السلام) في النجف الأشرف يوم ٣/ج٢/٢٨ ١٤ المصادف ٢٠٠٧/٦/١٩.

وصف الله تبارك وتعالى يوم بدر بالفرقان في قوله تعالى: **[وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ]** (الأنفال:٤١)؛ لأن النصر الذي منّ الله به تبارك وتعالى على عباده المؤمنين في معركة بدر كان فيصلاً فرّق بين الحق والباطل: الحق المتمثل بعقيدة الإسلام والانقياد لله تبارك وتعالى فيما يأمر وينهى وإقامة نظام الحياة على أساس شريعته المباركة، والباطل المتمثل بعبادة الأهواء وطاعة الطواغيت والانسياق وراء الشهوات واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله تبارك وتعالى. فأعزّ الله تبارك وتعالى الحق وجنده ونصرهم وأخزى الباطل وجنده وخذلهم.

ليس ذلك فحسب وإنما كان يوم بدر فرقاناً في تاريخ الإسلام والمسلمين فانتقلوا من مرحلة الخوف والاستضعاف والتشتت إلى مرحلة القوة والعزّة والمنعة والدولة وانطلق المسلمون بعدها ليبنوا حضارة البشرية كلها.

وكان فرقاناً ميّز أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين من حمل الإيمان في قلبه واطمأنت به جوانحه وثبتت عليه جوارحه فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وبين من كان الإيمان عنده لقلقة لسان وطقوس سطحية يؤديها فإذا محّصوا بالبلاء قل الديانون.

وكان فرقاناً بين فهمين للعوامل الحقيقية للنصر فبعد أن كان الاعتقاد بان الفوز حليف الكثرة العددية و القوى المادية المتنوعة حتى قال قائلهم **[إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِن اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]** (الأنفال:٤٩)، أصبح معيار النصر هو الإيمان والصبر والثبات على الحق فتهاوى جبروت قريش وعددها وعدتها بين إقدام المسلمين المعدمين إلا من النزر اليسير قال تعالى: **[وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ]** (آل عمران:١٢٣).

هكذا كان يوم بدر يوم فرقان على جميع الصُعُد في معركة العقيدة، معركة تنزيل القران أي على مستوى الإيمان به والتصديق بما انزل الله تبارك وتعالى على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو قائد هذه المعركة.

معركة التأويل:

ثم كانت حاجة لمعركة أخرى تلتها على مستوى السلوك والتطبيق لهذه التعاليم هي معركة التأويل أي الالتزام بحقيقة ما انُزِل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم تحريفه عن حدوده والتصرف في الشريعة تبعاً للأهواء والمصالح والاستحسانات، وكان قائد هذه المعركة أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (وإنه المقاتل على التأويل إذا تركت سنتي ونُبِذت، وحُرِّف كتاب الله، وتكلم في الدين من ليس له ذلك، فيقاتلهم علي عليه السلام على إحياء دين الله عز وجل) [١] وروي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه ذكر الذين حاربهم علي (عليه السلام) فقال: (أما إنهم أعظم جرماً ممن حارب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قيل له: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: أولئك كانوا جاهلية وهؤلاء قرأوا القرآن، وعرفوا أهل الفضل فأتوا ما أتوا بعد البصيرة) [٢] ولما سأل علي(عليه السلام) (فقال: يا رسول الله على ما أقاتل القوم؟ قال: على الإحداث في الدين).

فلم تكن هذه المعركة تنّفك عن تلك بل أن علياً لو لم يقاتل على التأويل لما بقي التنزيل ولحُرّف الدين وانتهى كل شيء كما كانت نتيجة الديانات السابقة لان كلمات التنزيل تبقى مجملة

---

(١) الإرشاد للمفيد: ١/ ١٢٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١٩/٣.

وعرضة للتلاعب والتحريف إذا لم توضع النقاط على الحروف فكان عليٌّ (عليه السلام) تلك النقطة التي تحركت على حروف كلمات التنزيل فأوضحت معانيها وثبتت حدودها وصانتها من عبث وتحريف أهل الأهواء والمصالح، لذا قال أمير المؤمنين في حرب صفين (والله ما وجدت من القتال بُداً أو الكفر بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم))[1].

وكان في حرب التأويل يوم فرقان كيوم بدر ذلك هو يوم الزهراء (سلام الله عليها) حيث وقفت (سلام الله عليها) في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأصحابه منصتون وهي تثبّت الحق وتعيده إلى نصابه بحجج بالغة وتدفع عنه التأويل والالتفاف على النصوص المباركة.

يوم الدفاع عن الإمامة:

كان يوم الزهراء فرقاناً أوضح معالم وصفات الإمام الحقّ وميّزته عن المتقمص لها ومن كلماتها سلام الله عليها (وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟! نقموا والله نكير سيفه، وقله مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره (أي غضبه) في ذات الله، والله لو ما لوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردّهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سُجُحا (أي سهلاً) لا يكلم حشاشه، ولا يكِلُّ سائره، ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلاً نميرا، صافياً، روياً، تطفح ضفتاه ولا يترنّق جانباه ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ريّ الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب **[وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ]** (الأعراف:٩٦).

([1]) مناقب آل أبي طالب: ١٨/٣.

[فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ] (الزمر:٥١))[1].

الزهراء (عليها السلام) الفرقان الحقيقي:

وكان يوم الزهراء (عليها السلام) فرقاناً لتمييز المنقلبين على الرسالة من الثابتين عليها الشاكرين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) **[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]** (آل عمران:١٤٤).

ومن ذلك اليوم تميّز في تاريخ الإسلام خطان الأول مستقيم **[فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ]** (هود:١١٢)، يمثل نقاوة الإسلام وأصالته، وخط انحرف عن جادة الصواب، وكلما طال الزمن ازداد الانحراف والابتعاد عن الخط الأصيل حتى صار خلفاء المسلمين كما يسمّونهم يشربون الخمر على منابرهم هذا ولا زال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحياء.

وكانت فاطمة فرقاناً يميّز الحق عن الباطل إذ قال فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (فاطمة يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها) فما رضيت عنه فاطمة فهو حق وما غضبت عليه فهو باطل لأنها معصومة وممن عرفت الله تبارك وتعالى فعرفت ما يرضيه وما يسخطه وما يصدر منها إلا ما يوافق رضا الله تبارك وتعالى.

وما أحوجنا اليوم إلى هذا الفرقان ليميّز لنا الحق من الباطل، والهدى من الضلال في كل عقيدة أو دعوة أو فكرة.

وما أحوجنا إلى هذا الفرقان ليفرّق لنا بين الصحيح والخطأ في آرائنا وتصوراتنا.

([1])البحار: ج٤٣ ص١٥٩.

وما أحوجنا إلى هذا الفرقان ليميز لنا السلوك والتصرف الذي يرضي الله تبارك وتعالى من الذي يسخطه حيث اختلطت الأوراق وكثر المدّعون واشتبهت الأمور.

اجعلوا الزهراء (عليها السلام) نصب أعينكم:

فاجعلوا الزهراء (عليها السلام) نصب أعينكم فيما يصدر منكم من فعل أو قول أو موقف أو فكرة تعتقدونها في عقولكم أو ضميمة تضمرونها في قلوبكم، واسألوا أنفسكم عن كل ذلك فحينما لا تلتزم المرأة بحجابها أو لا يؤدي الشاب الصلاة لربه أو لا يدفع التاجر خمس أمواله، أو يقصّر المسؤولون في خدمة شعبهم أو يقوم أحد بتصرف من دون الرجوع إلى المرجعية الرشيدة، فاجعلوا الزهراء (عليها السلام) حكما عليكم في خلواتكم هل ترضى بذلك أم تسخط فإن رضاها رضا الله تبارك وتعالى وسخطها سخط الله تبارك وتعالى.

التقوى فرقان القلب:

وإذا سألتم كيف ندرك ذلك؟ وكيف ينبلج نور الفرقان هذا في قلوبنا حتى نستطيع به هذا التمييز، فإن الله تبارك وتعالى يجيبكم من قبل أن تسألوه تفضّلا منه وكرما، قال تبارك وتعالى: **[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ]** (الأنفال:٢٩)، إنها تقوى الله تبارك وتعالى التي تفجّر ينابيع المعرفة في القلب، لأن التقوى تزيل تأثير الهوى الذي يصدّ عن الحق ويحجب القلب عن رؤيته بما يجعل من الحجب فتعمى القلوب التي في الصدور، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل، أما الهوى فانه يصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، وهذه الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وهذه الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فإن استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء

الدنيا فافعلوا، فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب وانتم غداً في دار حساب ولا عمل)[١].

إن القلب ما لم يعمر بالتقوى وينفض عنه غبار الهوى وأغلال الشهوات لا يمكن أن يهتدي إلى الحق ولو أقمت له ألف دليل **[وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ]** (البقرة:١٤٥)؛ لأن الدليل مهما كان مفحماً ومسكتاً فانه لا يكون مؤثراً إذا لم تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب.

إن من لا يمتلك هذا الفرقان يتخبط ويسير على غير هدى ويضلّ نفسه والآخرين ولا يميّز بين ما يضرُّه وما ينفعه ولا بين العدو وغيره كالثور المستعمل في حلبات مصارعة الثيران يجعل همّه في نطح قطعة القماش الحمراء غافلاً عن عدوّه المصارع الذي يطعنه بالخناجر حتى يصيب مقتله.

---

(١) الكافي: ج٨ ص٥٨.

الفصل الرابع:
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
في النهضة الفاطمية

فاطمة: يغضب الله لغضبها[١]

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد وصف الأئمة المعصومون (سلام الله عليهم) فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأعظم الأوصاف وأنزلوها أعظم المنازل ورتّبوا عليها أعظم البركات والآثار، روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتُعمر الأرض ويُنتصف من الأعداء ويستقيم الأمر)[٢].

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خَلْقان من خَلْقِ الله، فمن نصرهما أعزّه الله، ومن خذلهما خذله الله)[٣].

عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وفي مقابل هذه الآثار المباركة على الأمة التي تقوم بالفريضة، فإن عواقب وخيمة تنزل بها إن تقاعست وتخاذلت، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (لا تزال أمتي بخير ما أمروا

---

(١) خطاب الزيارة الفاطمية الذي ألقاه سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على الآلاف الذين تجمعوا في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف قبل الانطلاق في التشييع الرمزي للزهراء فاطمة (عليها السلام) في ذكرى استشهادها يوم ٣ جمادى الثانية ١٤٣٠ المصادف ٢٠٠٩/٥/٢٨.

(٢) وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح٦

(٣) وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح ٢٠.

بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات وسُلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء)[١].

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهُنَّ عن المنكر أو ليُستَعملَنَّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[٢].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ما قُدِّست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويّها غير مُتَعتَع)[٣].

وخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد فإنه إنما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك، وأنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأْمُرُوا بالمعروف وانهَوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقرّبا أجلاً ولن يقطعا رزقاً)[٤].

وهذا كله في آيات كثيرة من كتاب الله تبارك وتعالى، قال سبحانه: **[وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]** (آل عمران:١٠٤) وقال عز من قائل: **[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ**

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح ١٨.

(٢) وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح ١٨.

(٣) وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح ٤.

(٤) المصدر، باب١، ح٩، ٧.

لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ] (آل عمران:١١٠) وقال تعالى: **[وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ]** (المائدة:٦٢-٦٣).

ما الذي يحركنا تجاه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

إن هذه الفريضة المباركة العظيمة تحركها على أرض الواقع صفتان قلبيتان متلازمتان إذا ضمّهما القلب حرَّك الأعضاء هما: الغضب لله إذا عصي، والرضا إذا أُطيع، عن الإمام الصادق (عليه السلام) من حديث: (إذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقوى عليه فقد أحبَّ أن يُعصى الله، ومن أحبَّ أن يُعصى الله فقد بارز الله بالعداوة، ومن أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله، إن الله تبارك وتعالى حمد نفسه على إهلاك الظالمين، فقال: **[فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ]**)[١].

وعن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام): (لا يحلّ لعين مؤمنة ترى الله يعصى فتطرف حتى تغيّره)[٢].

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: (أوحى الله إلى شعيب النبي (عليه السلام) أني مُعذِّب من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال (عليه السلام): يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهَنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي)[٣].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقْلباها (على أهلها)، فلما انتهيا إلى المدينة

---

(١) المصدر، باب ١، ح٢٥.

(٢) المصدر، باب ٨، ح١.

(٣) المصدر، باب ٦، ح٢.

فوجدا فيها رجلاً يدعو ويتضرع (إلى أن قال:) فعاد أحدهما إلى الله، فقال: يا رب إني انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرع إليك، فقال: امضِ لما أمرتك به، فإن ذا رجل لم يتمعّر وجهه غيظاً لي قط)[١].

تزيين المنكر من قبل وعاظ السلاطين:

ويكون المنكر أفظع والغضب الدافع لتغييره أشد إذا أُعطي مشروعية ممن يتزيى بزيّ الدين ويلبس لباس الإسلام وحينئذٍ يختلط الحق بالباطل وتعصف الفتن والشبهات بالأمة ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ويقوم علماء السوء هؤلاء بتزييف الأحكام وإفراغها من محتواها لتخدم مصالحهم وأغراضهم الدنيوية، ويعود الإسلام النقي الأصيل غريباً مستضعفاً تحوم حوله الشكوك.

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (إن ممن ينتحل مودتنا أهل البيت مَن هو أشد فتنة على شيعتنا من الدجال، فقلت: بماذا؟ قال: بموالاة أعدائنا، ومعاداة أوليائنا إنه إذا كان كذلك اختلط الحق بالباطل، واشتبه الأمر فلم يُعرف مؤمن من منافق)[٢].

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): (يكون في آخر الزمان قوم يُتّبَعُ فيهم قومٌ مراؤون يتقرّؤون ويتنسّكون حدثاء سفهاء لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير يتّبعون زلات العلماء وفساد عملهم، يُقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكْلِمُهُم في نفسٍ ولا مال، ولو أضرّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم

---

(١) المصدر، باب ١٧، ح٩.

(٢) فروع الكافي: كتاب الجهاد، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح١.

لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها)[١].

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله، فقال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك، قال: نعم، وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟)[٢].

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (ليجيئنّ أقوام يوم القيامة لهم حسنات كأمثال الجبال فيأمر بهم إلى النار، فقيل: يا نبي الله أمصلون كانوا؟ قال: نعم، كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهناً من الليل، لكنهم إذا لاح لهم شيء من أمر الدنيا وثبوا عليه)[٣].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهداية الناس:

ويكون وجوب هذه الفريضة آكد حينما يتعلق الأمر بهداية الناس إلى أعظم قضية في الإسلام وهي إمامة الأمة وخلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي أمر الله تبارك وتعالى نبيه إعلانها بأشد لهجة بقوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]** (المائدة:٦٧) لأن بها عصمة الناس من الانحراف والأخذ بأيديهم نحو السعادة والكمال وإرشادهم إلى الصواب، وقد أولى الله تبارك وتعالى الدفاع عن هذه القضية

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح١٢.

(٢) بحار الأنوار: ١٨٦/٧٤.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ٣٨، ح١٠

كل اهتمام بحيث أن مجرد الجلوس في مجلس ينتقص فيه من أئمة الإسلام فإنه يعرّض صاحبه لعذاب الله تبارك وتعالى، عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (من قعد في مجلس يسَبّ فيه إمام من الأئمة يَقدِر على الانتصاف فلم يفعل ألبسه الله الذل في الدنيا وعذّبه في الآخرة، وسلبه صالح ما منَّ به عليه من معرفتنا)[١].

وعن مثل هذه المجالس قال الإمام الصادق (عليه السلام): (فمن ابتلي من المؤمنين بهم، فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شرك شيطان ولا جليسه، فإن غضب الله لا يقوم له شيء ولعنته لا يردّها شيء، ثم قال (عليه السلام): فإن لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة أو فواق ناقة)[٢].

ويقول (عليه السلام): (فإذا رأيتهم يخوضون في ذكر إمام من الأئمة فقم، فإن سخط الله ينزل هناك عليهم)[٣].

لماذا خرجت الصديقة فاطمة (عليها السلام)؟

أيها المحبّون للزهراء (عليها السلام) المجتمعون لنصرتها:

لمواجهة كل هذه الفتن والانحرافات، وللنهوض بهذا الواجب العظيم ولإقامة هذه الفريضة المباركة ولنصرة إمامها الحق أمير المؤمنين (عليه السلام) خرجت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) حين خرجت (في لُمَّةٍ من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى دخلت على حشد المهاجرين والأنصار وغيرهم)[٤] في مسجد

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ٣٨، ح ١٢.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ٣٨، ح ١٣.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ١٣٢/١.

(٤) علل الشرائع للصدوق (قدس سره): ٣٦٦/٢.

أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يكن خروجها للمطالبة بنخيلات فدك، وقد كانت فدك تحت يدها في حياة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من ثلاث سنين وما سمعنا أنها تنعمت بشيء من حطام الدنيا وإنما وجدناها كما وصفها زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام): (أنها استقت بالقربة حتى أثّر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد) [١].

وهي وزوجها وولداها الحسنان (صلوات الله عليهم أجمعين) الذين أطعموا المسكين واليتيم والأسير طعامهم وبقوا طاوين على الجوع ثلاثة أيام فنزلت في حقهم سورة (هل أتى).

وهي التي لما علمت أن أباها (صلى الله عليه وآله وسلم) قد انتابه شعور من الترفع والزهد لم يعلم أصحابه معناه حين دخل دارها فوجدها قد صنعت مسكتين من ورق - أي فضة- وقلادة وقرطين وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها (صلوات الله عليهما) فتصدقت بها جميعاً، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (فعلت، فداها أبوها - ثلاث مرات- ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء) [٢].

فهل ترى الزهراء (عليها السلام) غضبت لغصبهم فدكاً منها ومن زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) القائل: (بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسَخَتْ عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانُّها في غدٍ جَدَثٌ، تنقطع في ظلمته آثارها،

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣، ٢٠ عن أمالي الصدوق.

(٢) نهج البلاغة، من كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف، تسلسل ٢٨٥.

وتغيب أخبارها، وحفرةٌ لو زِيد في فُسحتها وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسدّ فُرَجَها التراب المتراكم) [١].

دروس الغضب لله تعالى:

إنها (سلام الله عليها) وقفت ذلك الموقف الخالد لتعيد الحق إلى نصابه ولتقوّم مسيرة الأمة، وكان غضبها كل غضبها لله تبارك وتعالى ورضاها كل رضاها لله تبارك وتعالى، لذا كان من الطبيعي أن يقلّدها أبوها (صلى الله عليه وآله وسلم) وساماً رفيعاً يعلّم الأجيال إلى يوم القيامة ويأخذون منه الدروس والعبر، وهو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)[٢] لأنها (سلام الله عليها) لم تغضب إلا له تبارك وتعالى ولم ترضَ إلا له سبحانه. وترى كل همّها ومحور خطابها إيصال هذه الرسالة، وأداء هذه الأمانة وهداية الأمة إليها وهي رسالة الأنبياء جميعاً **[إِنْ أُرِيدُ إِلا الإصلاح مَا اسْتَطَعْتُ]**(هود:٨٨).

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ:

وتجد اللوعة كل اللوعة تعتصر قلبها الرحب الرحيم حين تعود إلى دارها والأمة مصرّة على الانقلاب على وصية نبيّها (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم الاستجابة لما يحييها مخلّفة وراء ظهورها قوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُم ْ]** (الأنفال: ٢٤).

وتجد الأسى بادياً على كلماتها (سلام الله عليها) حينما تزورها نساء المهاجرين والأنصار يتفقدن حالتها في مرضها ولما سألنها: (كيف أصبحت من علّتك يا بنت رسول الله؟) لم تُجب بما هو

---

(١) الحديث مجمع عليه عند الشيعة وتجد نصوصه وأسانيده في مصادرهم ومنها كتاب بحار الأنوار: ١٩/٤٣، وقد رواه علماء السنة في صحاحهم (راجع كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ١٨٠/٣).

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ١٤٨/١.

المتعارف من الشكوى وبيان الحال وإنما أجابت (عليها السلام) بهدفها الأسمى فقالت بعد الحمد والثناء على الله تبارك وتعالى والصلاة على أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ويحهم أنّى زعزعوها! عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمور الدنيا والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المبين! وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا والله منه نكير سيفه وقلة مبالاته لحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته)[1] إلى آخر كلامها (سلام الله عليها).

داء الأمة العضال:

وبذلك فقد شخّصت الصديقة الطاهرة (عليها السلام) داءً عظيماً ابتليت به الأمم وستظل تعاني منه وهو سبب كل معاناتها وكوارثها وهو سوء اختيار من يحكمهم ويتولى أمورهم والإعراض عن القيادة الصالحة والالتفاف حول من يريدهم للدنيا، قالت (سلام الله عليها): (استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحقّ أن يتّبع أم من لا يهدِّي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) فهم بدل أن يحلّقوا نحو الأعلى ونحو الكمال بالقوادم، هبطوا نحو الأسفل بالذنابى.

هذا الانحراف الخطير في التفكير الناشئ من حب الدنيا واتباع الشهوات والجهل والتعصب الذي ابتليت به الأمم عبر التأريخ فاستبدلت معاوية بأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، واستبدلت يزيداً بالحسين (عليه السلام)، واستبدلت الطغاة والجبابرة بالأئمة المعصومين (عليهم السلام) والعلماء الصالحين، عبّر عنها الله تبارك وتعالى بقوله: **[يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ]** (يّس:٣٠).

وكانت صرخة الزهراء (عليها السلام) صدى لتلك الحسرة

---

(1) الاحتجاج للطبرسي: ١٤٨/١.

ومظهراً لذلك الغضب الإلهي.

لم يكن غيرها (عليها السلام):

ولم يكن أحدٌ قادراً على إطلاق ذلك الصوت المدويّ في أعماق التأريخ إلا الزهراء (عليها السلام) في طهارتها وشجاعتها وسمو منزلتها وقربها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولو كان أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي قالها لقالوا إنه رجل طامع في الخلافة وطامح إلى السلطة أو كما قالوا: إنه يجرُّ النار إلى قرصه.

ولما قام الإمام الحسين (عليه السلام) بعدئذٍ بمواصلة هذا الدور قالوا إنه قُتل بسيف جده.

أما الزهراء (عليها السلام) فلم يستطع أحد من الأولين والآخرين أن يرد عليها بكلمة، وغاية ما فعلوه هو التشكيك بوقوع بعض تفاصيل المظالم على الطاهرة الزهراء (عليها السلام)؛ لذا فإن إحياء مواقف الزهراء (عليها السلام) والانتصار لمظلوميتها من أعظم الوسائل لنشر مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وإقناع الناس باستحقاقهم إمامة الأمة وقيادتها.

ما نتعلمه من دروس الغضب لله تعالى:

أيها التواقون لشفاعة الزهراء (عليها السلام):

إن في حياتها الشريفة الكثير مما يمكن أن تتعلمه البشرية وتتأسى به، وها نحن أمام درس منها: وهو الغضب لله تبارك وتعالى إذا عصي وإنكار المنكر وبذل الوسع لتغيير الواقع الفاسد على جميع الصُعُد والوقوف في وجه الظلم والانحراف عسى الله أن يدخلنا في شفاعة الزهراء (عليها السلام)، ولا يُنال ذلك بالكسل والتقاعس عن أداء المسؤولية، وقد روي في حديث معتبر عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (إن الله عز وجلّ ليُبغِضُ المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل: وما المؤمن الذي لا دين له؟

قال: الذي لا ينهى عن المنكر)[١].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (من ترك إنكار المنكر بقلبه ولسانه ويده فهو ميت بين الأحياء)[٢].

وعن الإمام الحسين (عليه السلام): (لا يحل لعين مؤمنة ترى الله يعصى فتطرف حتى تغيّره)[٣].

فتأسّوا بالزهراء (عليها السلام) وأدخلوا السرور على قلبها الشريف بإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل الدؤوب لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى وإصلاح الناس وهدايتهم، وليكن عملكم هذا خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى ومنضبطاً بتوجيهات المرجعية الرشيدة كما أوصاكم أئمتكم (سلام الله عليهم): (غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ولا مريدين بظلمٍ ظفراً)[٤] فقد وعدكم الله تبارك وتعالى النصر والتثبيت ما دمتم في طاعته ونصرة دينه وأوليائه قال تعالى: **[إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم ۝]** (محمد: ٧).

وإن تقاعس أحدٌ أو مال إلى الراحة والأنانية وحب الدنيا فسوف يسلبه الله تبارك وتعالى هذه الكرامة: **[وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ]** (محمد:٣٨) **[وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ]** (التوبة:٤٦).

---

(١) فروع الكافي: كتاب الجهاد، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح١٥، ووسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح٢٣ بتغيير طفيف.

(٢) المصدر، باب ٣، ح٤.

(٣) المصدر، باب ١، ح٢٥.

(٤) فروع الكافي: كتاب الجهاد، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح١.

الفصل الخامس:
السيدة االزهراء (عليها السلام) وإقامة حكم الله تعالـى

السيدة االزهراء (عليها السلام) وإقامة حكم الله تعالى[١]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

لكل شيء حقيقة:

ورد في أحاديث شريفة عديدة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (إن لكل شيء حقيقة)[٢] وهذه الحقيقة تمثل روح ذلك الشيء ومضمونه الفعلي ومحتواه الذي يتقوّم به، ولا تتحقق للشيء مصداقية إلا به، ولا يكون الشيء بدون هذه الحقيقة إلا عبارة عن شكل وظاهر بلا محتوى.

فالصلاة لها حقيقة وهي المناجاة مع الله تبارك وتعالى والارتقاء إليه والانتهاء عن الفحشاء والمنكر، وتنقص قيمة الصلاة وحقيقتها بمقدار خلوّها من هذه الحقيقة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعداً)[٣].

وقولنا في سورة الفاتحة [إِيَّاكَ نَعبُدُ] له حقيقة هي الطاعة التامة لله تعالى والتسليم والانقياد المطلق له تبارك وتعالى في سائر أمورنا وحركاتنا وسكناتنا.

---

(١) خطبة سماحة الشيخ في الآلاف من الجموع التي جاءت لزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) في الذكرى الثالثة لاستشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) يوم الثالث من جمادى الآخرة، عام ١٤٣٥ الموافق ٣/نيسان/ ٢٠١٤.

(٢) راجعها في ميزان الحكمة: ٢٨٥/١.

(٣) ميزان الحكمة: ١٠٩/٥.

الفرق بين الحقيقة والدعوى:

وهذه الحقيقة تحتاج إلى دليل يبرزها ويؤكدها ويثبت وجودها، ومن دونه تكون الأشياء مجرد دعاوى، ويؤكد هذا الأمر الإمامُ الكاظم (عليه السلام) في وصيته لهشام بن الحكم، قال (سلام الله عليه): (يا هشام لكل شيء دليل ودليل العاقل التفكر ودليل التفكر الصمت)[١] فلا بد أن لا نسلّم بالأمور والدعاوى حتى نتحقق من الدليل، ولا نسترخي للأوصاف التي ندّعيها لأنفسنا ونثبتها في هويتنا كالإسلام والتشيع وولاية أهل البيت (عليهم السلام) من دون أن نراقب أنفسنا ونتفقدها باستمرار ونمتحنها لنتلمس الدليل على صدق هذه الدعاوى.

هذه المقدمة تلقي الضوء على واقع مؤسف نعيشه نحن المسلمين وهو أننا ندعي عناوين كثيرة من دون تقديم الدليل على وجود حقائقها بل قد نقوم بالعكس من ذلك، فتخالف أقوالنا أفعالنا، لذا يعلمنا الإمام الحسين (عليه السلام) في الدعاء المروي عنه الاعتراف بهذا التقصير أمام الله تبارك وتعالى: (ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاواه دعاوى)[٢].

حقيقة الإيمان بالله تعالى:

وأهم تلك العناوين التي يجب أن نتأكد من وجود حقيقتها هو الإيمان بالله تبارك وتعالى لأنه أصل الدين وأساس الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، وتأكيداً لهذه الأهمية فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومون (عليهم السلام) يلفتون نظر الناس إلى تفقد هذه الحقيقة فيسألون من يقولون: (نحن مؤمنون) ويقولون لهم: (فما حقيقة إيمانكم) أو يبدؤونهم بالبيان كقول الإمام الباقر

---

(١) تحف العقول: ٢٤٦.

(٢) مفاتيح الجنان، ٣١٥.

(عليه السلام): (لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال.. إلى آخر الحديث)[١].

أهم مظهر للتوحيد هو إقامة الأحكام الإلهية:

وقد بينت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما تكتمل به حقيقة الإيمان، قال تعالى: [فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً] (النساء : ٦٥)، فيقسم الله تبارك وتعالى على هذه الحقيقة [فَلا وَرَبِّكَ] ويحصر الإيمان بها [لا يُؤمِنُونَ حَتى يُحَكّمُوكَ] ويعطينا قاعدة مهمة من قواعد العقيدة في الإسلام، وهي أن أهم مظهر للتوحيد والإيمان بالله هو إقامة حكم الله تبارك وتعالى في الأرض، وتطبيق شريعته في شؤون الحياة والرجوع إليه في الحكم والالتزام بمنهجه في الحياة، وإن هاتين القضيتين متلازمتان، وإن جوهر الصراع بين الإيمان والكفر هو في من له حق الحاكمية والتشريع ورسم المنهج الذي تسير عليه البشرية، هل هو الله تعالى خالق الكون والعالم بما يصلحه ويسعده، أم الإنسان بقصوره وفقره وعجزه ومصالحة المتصارعة وأهوائه المتقلبة [وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ] (المؤمنون:٧١)؟.

الإيمان يكتمل بثلاثة عناصر:

لذا فإن الآية الكريمة تؤكد على أن الإيمان الحقيقي يكتمل بثلاثة عناصر:-

١- **الرجوع إلى شريعة الله تعالى** التي بلّغها رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومون (عليهم السلام) ومن بعدهم العلماء العاملون المخلصون [حَتَّى يُحَكِّمُوكَ] أي يرجعون إليك في كل أمورهم ويأخذون الحكم منك ولا يحكمون غيرك وغير من نصبتهم من الحجج، وإن كل قانون

---

(١) ميزان الحكمة: ٢٨٦/١.

يضعه البشر لم يؤخذ من الشريعة فإنه باطل وينافي أصل الإيمان بالله تعالى ولا يجوز لأحد أن يشرّع ويقنن خارج النصوص الشرعية.

٢- **أن يسلّموا بتلك الأحكام** ويذعنوا إليها ويؤمنوا بها سواء أدركوا المصلحة فيها وعرفوا أسرار تشريعها أو لم يدركوا ذاك، وأن لا يشعروا بالحرج والضيق إذا عاب أحد عليهم هذه الأحكام أو انتقصها أو زعم أنها تخالف حقوق الإنسان وتنافي الحرية والعدالة والمساواة، أو أنها رجعية وتخلف ولا تواكب الزمان الحاضر، ونحو ذلك من التهم والاستفزازات.

٣- **أن يلتزموا بتلك الأحكام ويطبقوها** في حياتهم من دون تبعيض وانتقائية للأحكام التي توافق رغباتهم وأهوائهم ومصالحهم، ويعرضون عنها إذا كانت لا تحقق مصالحهم الضيقة وتصطدم مع أهوائهم وشهواتهم، وإنَّ صدق الإيمان يظهر عندما يكون الحكم على خلاف الهوى والمصلحة ومع ذلك يسلِّم له ويطبقه ولا يجد في نفسه حرجاً منه.

روى الشيخ الكليني في الكافي بسند صحيح عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): (لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا صنع خلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: [فلا وربك لا يؤمنون..] ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): عليكم بالتسليم)[١].

ولقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات كثيرة، قال تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن

---

(١) الكافي: ٣٢١/١، ح٢.

يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ] (الأحزاب : ٣٦) وقال تعالى: [وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ] (الأنعام: ١٥٣)، وقال تعالى: [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ](آل عمران:١٩)، وقال تعالى: [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (آل عمران:٨٥) وغيرها.

اهتمام الشريعة بتنظيم الأحوال الشخصية:

والروايات الشريفة حافلة أيضاً بهذه المعاني، وقد حظيت أحكام ما يعرف اليوم بالأحوال الشخصية باهتمام كبير من الأئمة (عليهم السلام) ولم يعذروا من يطبق القوانين الوضعية ولا يرجع إلى الأحكام الشرعية لأنها تنظم أموراً أساسية في حياة الأفراد كالزواج والطلاق والمواريث وأي خلل فيها يعني وقوع الناس في المحرمات في ذرياتهم وأموالهم، ولا مجال فيها للاعتذار بالتقية ونحوها لأنها قضايا شخصية لا تتعارض مع السلطات، وتحركوا بالوسائل المتاحة لهم (عليهم السلام) ليقنعوا الأمة بها[١].

انطلاقة الزهراء (ع) من فروع الدين الى إقامة أصول الدين:

أيها الأحبة المجتمعون لنصرة الصديقة الطاهرة (عليها السلام): إن السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) حينما قامت بأمر الله تعالى في وجه الانحراف والظلم وطالبت بحقها في فدك

---

(١) ويصل الاهتمام إلى درجة أن الإمام يسعى لإقامتها ولو بالقوة، في رواية صحيحة في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (لا يستقيم الناس على الفرائض –أي المواريث- والطلاق إلا بالسيف) ومثلها عن الإمام الباقر (عليه السلام).

وفي رواية أخرى عن أحدهم قال: (سألت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) عن النساء هل يرثن من الرباع –أي الأراضي-؟ فقال: لا، ولكن يرثن قيمة البناء، قال: قلت: فإن الناس لا يرضون بذا؟ فقال: إذا وُلِّينا فلم يرضَ الناس بذلك ضربناهم بالسوط فإن لم يستقيموا ضربناهم بالسيف)(الروايات في الكافي: ج٧، كتاب المواريث، باب ٤٤).

وحاججتهم بآيات المواريث إنما أرادت أن تنطلق من هذا الحكم المتعلق بالأحوال الشخصية إلى مطلب أوسع وأعظم وهو إقامة شريعة الله تعالى في الأرض وعلى رأسها اتباع الإمام الحق والقيادة الصالحة المصلحة، والقوم قد فهموها هكذا؛ لذا أرادوا قطع الطريق من أوله على مشروع السيدة الزهراء ((يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في أمر فدك: وسألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد –وهو من علماء العامة- فقلت له: أكانت فاطمة عليها السلام صادقة؟ قال نعم. قلت: فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم ثم قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء؛ لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة في ما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود. قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام صحيح))[1].

الخشية من انطلاقة القانون الجعفري:

وهذا ما يقوم به الأعداء على طول التأريخ منذ أن صدع النبي (صلى الله عليه وآله) بالدعوة الإسلامية المباركة فيعملون على إجهاض كل حركة لإيقاظ الناس وتفعيل دور الدين في حياة الأمة ويسعون لإبقاء الأغلال التي تكبّل الأمة ويحيطون الحركة بالتشويه والتسقيط والشبهات كما حصل في مواجهة القانون الجعفري لتبقى الغشاوة على عيون الناس وإلحاق الهزيمة بالإسلام، وهذا يفسّر اجتماع كل القوى في الداخل والخارج لمعارضة القانون وهو ما يزال مسودّة لم يعرض للنقاش أصلاً؛ لأنهم يخشون من آثاره المباركة اللاحقة على الأمة.

لا حكم غير الإسلام إلا الجاهلية:

([1]) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٨٤.

لقد كانت الصديقة الطاهرة (عليها السلام) حازمة وصريحة في وعظهم وتحذيرهم بأنهم يعودون إلى جاهليتهم الأولى إذا خالفوا حكم الله تعالى، قالت (عليها السلام) في خطبتها: (وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته)[١].

فتذكرهم (عليها السلام) بقوله تعالى: [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (المائدة:٥٠) ويفسّرها الإمام الباقر (عليه السلام) بقوله: (الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية وقد قال الله عز وجل: [وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ] واشهدوا على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض –أي المواريث- بحكم الجاهلية)[٢]، والكلام شامل لغير زيد ممن خالفوا حكم الله تعالى.

الأحكام الإلهية لا تقبل المساومة:

أيها الأحبة: إن تطبيق الأحكام الشرعية وتنظيم شؤون الحياة على أساسها قضية حدية فاصلة لا تقبل المساومة والمداهنة والتبعيض أو التأجيل بحجة أن الوقت غير مناسب أو أي عذر آخر، فلا تسويف لأمر الله تعالى فإما أن يُطبَّق حكم الله تعالى وإما أن يكون الحكم حكم أهل الجاهلية، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية)[٣].

الإسلام يقود الحياة: شعار المرجعية الرسالية

---

(١) الاحتجاج: ١٣١/١.

(٢) الكافي: ٤٠٧/٧.

(٣) التهذيب: ٢١٨/٦، ح٥، باب من إليه الحكم وأقسام القضاة والمفتين.

إن فهم هذا الصراع والنهوض بمسؤولية الدفاع عن الإسلام وإقناع البشرية به وبقدرته على قيادة الحياة –كما عبّر السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) حينما عنون أحد كتبه بذلك- هو سر انقسام المرجعية الدينية والحوزة العلمية إلى خطين وقيادتين متباينتين في المنهج والسلوك، أولهما عالم فاعل عامل لا يكتفي بتنميق الكلمات على الأوراق فقط بل يتحرك ويواصل الليل بالنهار ليعيد للإسلام هيبته وعزته وللمسلمين كرامتهم وحريتهم وثقتهم بأنفسهم ويدلّهم على معالم هويتهم المسلوبة من خلال ما يقدّم من نظريات وتشريعات ومنظومات فكرية ومعرفية تثبت أن دين الإسلام هو أصلح نظام للبشرية اليوم وغداً كما كان بالأمس، فألّف الشهيد الصدر الأول (قدس سره) اقتصادنا وفلسفتنا ومجتمعنا والأسس المنطقية للاستقراء والبنك اللاربوي وغيرها، مما أبهر عقول خصومه وأصدقائه على حد سواء؛ لذا لا نستغرب قيام الحكومة الروسية رمز النظام السياسي والاقتصادي الذي استهدفه في كتبه بنصب تمثال[1] للسيد الشهيد الصدر الأول العالم العربي المسلم الوحيد الذي يكرَّم بهذا الشكل في قلب عاصمة الاتحاد السوفيتي سابقاً وفي أهم صروحها العلمية في موسكو باعتباره صاحب إنجازات إنسانية عظيمة، بينما تُعرض الحوزة النجفية عنه وعن آثاره والاحتفال به –ونحن نعيش ذكرى استشهاده الرابعة والثلاثين- وكأنه ليس مفخرتها وجوهرتها ووجهها الناصع.

من معاني نصرة السيدة الزهراء (عليها السلام):

إن من أهم أشكال النصرة للسيدة الزهراء (عليها السلام) وللمعصومين جميعاً لنكون صادقين في قولنا لهم عند زيارتهم

---

(1) وُضع التمثال النصفي في جامعة موسكو الحكومية للعلاقات الدولية التابعة لوزارة الخارجية الروسية ورفع الستار عنه يوم الجمعة ٢٠١٤/٢/٢٨ في احتفال حضره مثقفون وأكاديميون وسياسيون روس، ورؤساء عدد من البعثات الدبلوماسية.

(عليهم السلام): (ونصرتي لكم معدة) هو السعي الدؤوب لهداية الناس وإرشادهم، والضغط المستمر لإقرار القوانين التي تنظم حياتهم وفق الشريعة الإلهية خصوصاً في الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث والوصية والوقف لأنها لا تتنافى مع حق أحد ولا تسلب حرية أحد ولا تكره أحداً على خلاف ما يعتقد.

إن الله تبارك وتعالى حذّرنا بشدة من العمل بالقوانين الوضعية التي تتنافى وأحكام الدين، قال تعالى: [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] [وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] (المائدة:٤٤، ٤٥، ٤٧).

ويؤكد الله تعالى على نبيه أن لا يتأثر بالمغريات والتهديدات والتسقيط الإعلامي ونحو ذلك من الضغوط لترك القوانين الإلهية، قال تعالى: [وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ] (المائدة:٤٩) ثم يبين الله تعالى أن أحسن الأحكام وأصلحها للبشر وأكثرها ملاءمة لطبيعة تكوينه الفردي والاجتماعي هي أحكام الله، قال تعالى: [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (المائدة:٥٠).

فلنراجع واقعنا ولننظر هل مناهج التعليم المتبعة موافقة للشريعة؟ وهل العلاقات الاجتماعية القائمة بيننا منضبطة بتعاليم الإسلام؟ وهل السنائن العشائرية التي يحكمون بها مأخوذة من الشريعة؟ وهل وهل .. مما يطول ذِكره.

حرائر العراق ينتصرن للإسلام:

لقد سجّلت المؤمنات الرساليات من حرائر العراق المتأسّيات بالسيدة الزهراء (عليها السلام) والعقيلة زينب (عليها السلام) موقفاً مشهوداً في نصرة دين الله تعالى حين عقدن تجمعات حاشدة

بالآلاف في مختلف المدن العراقية وبحضورهن وحضوركم في هذا المحفل الكريم للمطالبة بتصحيح مواد قانون الأحوال الشخصية وفق الأحكام الشرعية، ووجّهن صفعة شديدة لمن يريد إبقاء المجتمع العراقي المسلم المؤمن يعمل على وفق قوانين الجاهلية.

وأعادت هؤلاء النسوة للمرأة عموماً الثقة بنفسها وبقدرتها على إحداث التغيير والإصلاح وانتزاع الحقوق، تلك القدرة التي سُلبت منها عبر الأجيال نتيجة لعوامل عديدة، وساعدت نفس المرأة على استلابها باستكانتها واستسلامها وخضوعها للأعراف والتقاليد والثقافات التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وتناست المرأة أن من أهم ثمرات ونتائج القيام الفاطمي والزينبي هو إعادة الثقة للمرأة بنفسها وأنها قادرة على انتزاع الحقوق وإيقاظ الأمة وإعادة الأمور إلى نصابها، فقامت هذه النسوة بتذكير الأمة بهذه الثمرة المباركة للقيام الفاطمي الزينبي العظيم.

وها هي الانتخابات البرلمانية مقبلة بإذن الله تعالى، وتشكل النساء نصف عدد الناخبين تقريباً فهن إذن الرقم الصعب القادر على قلب الطاولة على رؤوس كل دهاقنة السياسة وتجار الحروب وأصحاب الأجندات الظالمة الفاسدة من الداخل والخارج.

من بركات الانتصار للإحكام الإلهية:

لقد كان من بركات هذه اليقظة وهذا الحراك الفكري والاجتماعي وإثارة مكامن القوة والإنسانية في الشريعة الإسلامية التفات المسلمين إلى المطالبة بحقهم في تشريع القوانين الخاصة بهم وجاءت ثمرتها في بريطانيا قبل أيام حيث اعتمدت لأول مرة في محاكمها الشريعة الإسلامية في الإرث والوصية لتنظيم شؤون المسلمين فيها؛ وقد وجدت الحكومة البريطانية في إعطاء هذا الحق للمسلمين خطوة تساعد على شعور المسلمين بالمواطنة وعدم الإقصاء والتهميش، فأتاح الله تبارك وتعالى هذا القرار في عنفوان الجدل حول القانون الجعفري ليكون حجة دامغة على المهزومين

والمنبهرين بالغرب وسائر المعترضين على إقرار القانون الجعفري.

أليس من الغريب أن يكون الإسلام بهذه الدرجة من التأثير في بلاد غير المسلمين بينما يستضعفه أبناؤه في بلادهم ويشعرون بالهزيمة الداخلية ويخجلون من إعلان هويتهم والتحرك بمشروعهم!.

فأحيوا أيها الأحبة خصوصاً الشباب والمثقفين وطلبة الجامعات- في نفوسكم الشعور بالفخر والاعتزاز ورفعة الرأس وأنتم تنتمون إلى هذا الدين العظيم، وأحسِّوا بقيمة كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام): (إلهي كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفي بي فخراً أن تكون لي ربّاً، إلهي أنت كما أحب فاجعلني كما تحب.

أيها الإخوة والأخوات المجتمعون على ولاية أهل البيت (عليهم السلام):

اعلموا أنكم بنصرتكم للسيدة الزهراء (عليها السلام) والقانون الجعفري ساهمتم في رفع جزء من البلاء والتيه الذي كان ستقع فيه الأمة لو أجمعت على خذلان دين الله تعالى، قال الله عز وجل: [وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ] (هود:١١٧) وقال تعالى: [وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ] (البقرة:٢٥١) وقال تعالى: [فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ] (يونس:٩٨).

نسأل الله تعالى أن يمدّ المؤمنين والمؤمنات بنصره ويزيد في توفيقهم ويكلل جهودهم بالنجاح ببركة إحيائكم لهذه الشعيرة المقدسة والله ولي التوفيق.

الفصل السادس:
الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) تحمل هذا الدين وتحميه

الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) تحمل هذا الدين وتحميه[١]

الحمد لله وحده كما يستحقه حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على أمينه على وحيه وسيد خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السلام على أمير المؤمنين عبد الله وأخي رسوله، وعلى الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الممتحنة الصابرة الشهيدة المحتسبة المهتضم حقها، ورحمة الله وبركاته.

من هو الذي يحمي به الله تعالى دينه؟

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (يحمل هذا الدين في كل قرن عُدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد)[٢].

والقرن هم أبناء الجيل الواحد باعتبارهم مقترنين في الزمان، فمعنى الحديث الشريف أنه يوجد في كل جيل من الأجيال من يحمل رسالة الإسلام المحمدي الأصيل ويحميه من الشبهات والبدع والتحريف والضلالات والأهواء وينقي الإسلام مما علق به من تلك البدع والشبهات كما يفعل الحداد حين يصنع الحديد في النار وينفخ فيها ليزيل عنه الشوائب.

---

(١)الخطاب الذي وجّهه سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) إلى عشرات الآلاف من المؤمنين الذين اجتمعوا في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف قبل أن ينطلقوا في التشييع الرمزي للسيدة الزهراء (عليها السلام) في ذكرى استشهادها ضمن فعاليات الزيارة الفاطمية صباح يوم الأحد ٣/ج٢/١٤٣٤ الموافق ١٤/٤/٢٠١٣.

(٢) رجال الكشي: ٢، وروى البرقي في المحاسن مثله وفيه (فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) (بحار الأنوار: ٩٢/٢ عن بصائر الدرجات: ٣٠/١، باب ٦، ح ٧).

وفي هذا الحديث الشريف تطمين وتحذير ودعوة.

أما التطمين فلأنه يطمئن الناس بأن الله تعالى لا يخلي الأرض من العلماء العاملين المخلصين الواعين الذين يؤدون هذه الأمانة الإلهية فإنهم موجودون في كل جيل، فلا يقلق الناس من هذه الناحية، أو يبررون ضلالهم وانحرافهم وسوء اختيارهم لمسلكهم في الحياة بعدم وجود مثل هؤلاء العلماء.

وفي الحديث إخبار وتحذير بأن المبطلين والمدعين والمنحرفين وأهل الأهواء وطلاب الدنيا من المتلبسين بالعناوين الدينية ومن ينخدع بهم من الجهلة والسذّج سوف لا يتوانون عن تحريف هذا الدين وإدخال البدع والضلالات تحت أي عنوان وقد تُعطى البدعة عنواناً دينياً مقدساً، ولا يتوقفون عن خداع الناس بمكرهم ودجلهم، وأنهم موجودون في كل جيل ويعملون باستمرار كما أن العلماء العاملين موجودون في كل جيل ويواجهونهم.

وفي الحديث أيضاً دعوة للناس للالتفات إلى هذا الصراع وهذه المواجهة، والالتفاف حول مثل هؤلاء العلماء الذين وصفهم الحديث الشريف لاتّباعهم والالتزام بما يصدر منهم، وعدم الانخداع بمن يدّعون القداسة والقيمومة على الدين والمؤسسة الدينية ليطلبوا بها الدنيا؛ لأن عملية التأويل والتحريف وخداع الناس لا تكون إلا ممن أعطى لنفسه عناوين دينية كبيرة، ووضع له حاشيته والمستفيدون منه هالة مقدسة وجعلوه صنماً يعبد ويطاع من دون الله تعالى.

لا تأخذنَّ دينك من الخائنين:

لذلك يؤكد الأئمة (عليهم السلام) على أن نختار بوعي ودراية وبصيرة وليس بتقليد الأسلاف أو بالسلوك الجمعي مع عامة الناس ونحوها.

روى علي بن سويد قال: (كتب إليّ أبو الحسن الأول –أي الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)- وهو في السجن: وأما ما

ذكرت يا علي: ممن تأخذ معالم دينك، لاتأخذن دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم، إنهم ائتمنوا على كتاب الله جل وعلا فحرّفوه وبدّلوه فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله وملائكته ولعنة آبائي الكرام البررة ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة)[١].

وروى البرقي في المحاسن من مواعظ السيد المسيح (عليه السلام) قوله: (كونوا نقّاد الكلام، فكم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله كما زخرف الدرهم من نحاس بالفضة المموهة، النظر إلى ذلك سواء والبصراء به خبراء)[٢].

ولأن هذه المواجهة موجودة في كل جيل فقد بدأت بشكل علني بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة وجسده الشريف لا زال مسجّىً لم يدفن، حيث عمد زعماء الانقلاب إلى التأويل والتحريف والادعاءات الباطلة.

الزهراء (عليها السلام) تدافع عن الدين:

وكانت الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أول هؤلاء العدول الذين يحملون هذا الدين وينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين، وواجهتهم ودحضت ادعاءاتهم الخائبة، في كل الاتجاهات التي غيّروا وبدّلوا فيها.

فعلى صعيد تلاعبهم بكتاب الله تعالى قالت (سلام الله عليها): (كيف بكم وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أمورُه ظاهرةٌ وأحكامُه زاهرةٌ، وزواجرُه لائحةٌ، وأوامرُه واضحة، وقد خلّفتمُوهُ وراء ظهوركم، أرغبةً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ [بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً] (الكهف: ٥٠) [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (آل عمران : ٨٥)).

---

(١) بحار الأنوار: ٨٢/٢ عن رجال الكشي كذلك.

(٢) بحار الأنوار: ٩٦/٢، ح ٣٩، عن المحاسن: ٢٩٩-٢٣٠.

وقالت (عليها السلام): (يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: [وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ] (النمل:١٦)، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: [فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً] (مريم : ٥-٦)، وقال: [وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ] (الأنفال:٧٥)، وقال: [يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ] (النساء:١١)).

إلى أن قالت (عليها السلام): (أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إنا أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أولستُ أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟).

الزهراء (عليها السلام) تذود عن الإمامة:

وفي موضوع الإمامة وانقلابهم على وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخليفة من بعده وإقصاء أمير المؤمنين قالت (عليها السلام): (ويحهم! أنى زعزعوها؟ عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين –أي الفطن الحاذق العالم بكل شيء- بأمور الدنيا والدين؟ [أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ] (الزمر : ١٥)) (وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردّهم إليها، وحملهم عليها) (ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويّاً، [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ] (الأعراف : ٩٦)، ويحهم! [أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] (يونس : ٣٥) هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ –أي عاقبة- ما أسس الأولون).

وردّت على افترائهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتزويرهم حديثاً عنه زعموا أنه قال: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضة)) إلخ فقالت (عليها السلام): (سبحان الله! ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، ويقفوا سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور والبهتان، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً) (ما أزاح به علة المبطلين وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا [بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ] (يوسف:١٨).

أسباب الانحراف والتأويل:

وهنا لا بد أن نقف عند تحليل السيدة الزهراء (سلام الله عليها) وتشخيصها لأسباب هذا الانحراف والتغيير في الدين والتخاذل والنكوص عن الحق ومساندة الباطل، وكيف تعطى له الفرص ليستفحل ويتجذّر في المجتمع، ومن كلماتها (عليها السلام) في ذلك (معاشر المسلمين، المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن [أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] (محمد : ٢٤) كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم).

وقالت (عليها السلام): (أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض –أي الراحة وسعة العيش- وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة –وهي الراحة- ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغّتم- أي قاؤوا ما شربوه بسهولة- فإن [تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ] (إبراهيم : ٨)).

وقالت (عليها السلام): (وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين وللغرّة فيه ملاحظين، ثم

استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً –أي استفزّكم فغضبتم له- فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم) (ابتداراً، زعتم خوف الفتنة ألاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ] (التوبة : ٤٩)).

وتبيّن (سلام الله عليها) لهم العاقبة (فنِعمَ الحكمُ الله والزعيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، و [لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ] (الأنعام:٦٧) و [سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ] (هود : ٣٩)).

مسؤولية الانحراف:

فإذن يتحصل من خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) أن الأسباب عديدة والمسؤولية يتحملها طرفان:

الأول: بعض رجال الدين بانقيادهم لأهواء النفس وميلهم لحب الدنيا وتزيين الشيطان وحسدهم لأهل الحق وتصدّيهم لمواقع ليسوا مؤهلين لها (فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير مشربكم) حتى طُبع على قلوبهم فحرموا من التدبر في الآيات الكريمة والروايات الشريفة فأخذوا يأوّلونها ويحرفون معانيها.

الثاني: عامة الناس بجهلهم وحماقتهم وسذاجتهم وميلهم إلى الدعة والراحة وتخاذلهم عن نصرة من تجب طاعته وسكوتهم عن المنكر والباطل، ونعيقهم مع كل ناعق وخوضهم مع الخائضين وإسراعهم إلى الشبهات والقيل والقال وتصديق المدّعين وعدم تصحيحهم للأخطاء التي يقعون فيها وعدم توبتهم من الذنوب التي يرتكبونها.

لولا العلماء:

وهذه الأسباب لحصول الانحراف وابتعاد الناس عن الحق موجودة في كل زمان، لذا يعلن الحديث النبوي الشريف أن الله تعالى يهيئ في كل جيل من يواجه هذا الانحراف، وكانت الصدّيقة الطاهرة (عليها السلام) على رأس من اجتباهم الله تعالى لأداء هذا الدور العظيم، فكانت هذه واحدة من الوظائف المباركة التي قامت بها الصدّيقة الزهراء (عليها السلام)، وتحمّلت بسبب قيامها هذا الكثير من المشقة والمعاناة والظلم فهتكوا حرمة دارها التي أذِن الله لها أن ترفع، وقام القوم بإيذائها جسدياً ومعنوياً ومنعها من البكاء على أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قضت شهيدة صابرة محتسبة في مدة قصيرة.

ووقف أمير المؤمنين (عليه السلام) عند دفنها مخاطباً رسول الله، ومما قال في إدانة الانقلابيين وتجريمهم: (وسَتُنبِّئُك ابنتك بتضافر[1] أمتك على هضمها، فأحْفِها السؤال، واستخبرها الحال)[2].

التأسي العملي من حياة الزهراء (عليها السلام):

أيها الأحبة: إن الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) أسوة لنا جميعاً بل هي حجة علينا جميعاً، فلنأخذ منها هذا الدرس الشريف ونسير على هديها ونعمل جميعاً على حمل رسالة الإسلام ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) إلى الدنيا بأسرها، ونحميها من الانحراف والبدع والضلالات والشبهات وندافع عنها، ولا يقول أحدٌ: إن هذه وظيفة الحوزة العلمية ورجال الدين، فهذا تفكير غير صحيح، والفرصة متاحة للجميع أن يكونوا من هؤلاء المدافعين عن الدين ضمن الإطار الذي تضعه المرجعية الدينية الرشيدة العارفة بطبيعة الظروف.

---

[1] لاحظ التعبير عن اشتراك أكثر الأمة بهضمها لأنهم بين من قام بالعدوان أو رضي به أو سكت عنه.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ٢٠٢.

والحديث النبوي الشريف يدعوكم جميعاً لكي تكونوا من حماة الدين وحملته بعد أن تهذّبوا أنفسكم وتتعلموا من العلوم والمعارف الدينية ما يؤهلكم لأداء هذا العمل المبارك، لأن الحديث لم يخصص هذه الوظيفة الشريفة –أي حمل الدين وحمايته- بشخص أو فئة أو شريحة معينة كالحوزة العلمية والمؤسسة الدينية، ولا بالرجال دون النساء، وإنما وصفت هؤلاء الذين يحملون الدين ويحمونه أنهم عدول موجودون في كل قرن، فابذلوا وسعكم لتكونوا منهم وتلتحقوا بالركب الذي قادته الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على نهج أبيها وزوجها أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما).

والفرصة أوسع ما تكون هذا الزمان لسهولة الحصول على المعلومة وسهولة إيصالها إلى أي شخص أو جهة في أنحاء العالم نتيجة التطور الهائل في تقنيات الاتصال، كما أن الحجة اليوم أكبر على الجميع للقيام بمسؤولياتهم في إيقاظ الآخرين وتوعيتهم وإرشادهم وهدايتهم، حيث لا يقتصر المدعوون اليوم على غير المسلمين لهدايتهم إلى الإسلام، ولا على غير أتباع أهل البيت (عليهم السلام) من المسلمين لهدايتهم إلى ولاية أهل البيت والأخذ منهم، بل ابتلينا داخل إطار مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بالبدع والضلالات والتجهيل والتخلف وتسطيح العقول، كما ابتلينا أيضاً بصناعة القيادات غير الصالحة وغير المؤهلة لهذه المواقع الشريفة وأصحاب الدعاوى الضالة الباطلة، واستخدم في الترويج لذلك المال والإعلام والمكر والأساليب الخادعة.

لقد وضع الأئمة المعصومون (عليهم السلام) معالم القيادة والمرجعية التي تتبعونها في أحاديث بعضها معروف لديكم، ومنها ما رواه الإمام الصادق (عليه السلام) عن جدّه أمير المؤمنين (عليه

السلام) قال: (اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان)[١].

فتثبّتوا ممن ترجعون إليه أن يكون حاملاً للرسالة الإلهية مدافعاً عنها حامياً لها، وآمراً بالمعروف والعدل والإحسان صائناً لها من الانحراف والتأويل والبدع.

وفي الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن لكم معالم فاتبعوها، ونهاية فانتهوا إليها)[٢].

وفقنا الله تعالى وإياكم لما يحب ويرضى.

الفصل السابع:

---

(١) أصول الكافي، ج١، كتاب التوحيد، باب: أنه لا يعرف إلا به، ح١.

(٢) بحار الأنوار: ٩٩/٢، ح٥٢، عن المحاسن: ٢٧٢.

السيدة الزهراء (عليها السلام) وتثبيت الأمة على الصراط المستقيم

السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتثبيت الأمة على الصراط المستقيم[١]

أيام التضحية:

ثلاثة أيام في الإسلام أراد الله تبارك وتعالى لها أن تثبّت عقيدة الأمة وتصحح مسيرتها وتحفظ الإسلام نقياً ناصعاً سليماً من الزيغ والانحراف الذي يريده طلاب الدنيا لتحقيق مصالحهم الذاتية، ومثّلت هذه الأيام أهم منعطفات في حياة الأمة:

الأول: يوم الغدير وبيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إماماً للأمة وخليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ومكملاً لرسالته المباركة، فجعله الله تعالى يوم إكمال الدين وإتمام النعمة؛ لأنه يوم خلود الرسالة وعدم اندثارها بموت صاحبها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الثاني: يوم القيام الفاطمي حينما انقلبوا على الأعقاب بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما أخبر به الله تعالى: **[أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ]** (آل عمران:١٤٤)، وهو يوم الفرقان في معركة التأويل التي خاضها أمير المؤمنين (عليه

---

[١] الخطاب السنوي الذي يلقيه سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على عشرات الآلاف من المؤمنين الذين توافدوا لإحياء شعائر الزيارة الفاطمية عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف الأشرف يوم ٣/جمادى الثانية/ ١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/٤/٢٥.

السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحسب ما ورد في حديث النبي (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام): (تقاتل على التأويل كما قاتلتُ على التنزيل)[1] أي تخوض حربَ تصحيح المفاهيم والسلوكيات وتقويم الانحراف ووضع النقاط على الحروف وبيان التفاصيل.

الثالث: يوم عاشوراء، يوم التضحية بالقرابين النفيسة لفضح الحكام المستبدين الفاسقين المحاربين لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن بعد يوم عاشوراء تميّز خط الإمامة والخلافة الإلهية عن خط الملك والسلطنة والصراع على الحكم **[لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ]** (الأنفال:٤٢) وانتهى عصر خلط الأوراق وتداخل الخنادق.

ولو أطاعت الأمة ربّها وما أنزله على رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) في ما بلَّغ في اليوم الأول (يوم الغدير) لما احتاجت إلى اليوم الثاني وهو يوم القيام الفاطمي الذي دفعت فيه الزهراء (عليه السلام) حياتها ثمناً له وهي في عمر الزهور حيث لم تتجاوز ثمانية عشر ربيعاً.

ولو استُمعت نصيحة الزهراء (عليها السلام) في قيامها المبارك وأعادت الأمة الحق إلى نصابه ودفعته إلى أهله وأذعنت لحق أمير المؤمنين (عليه السلام)، لما حصل الانحراف والانحدار بالأمة حتى تطلَّب تقويمُ المسار سفكَ دم سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيد شباب أهل الجنة وسبي عقائل النبوة من بلدٍ إلى بلدٍ يتصفح وجوههن الأعداء.

للحفاظ على الإسلام:

---

[1] بحار الأنوار: ١٩١/٣٧، وفي السنن الكبرى للنسائي: ١٥٤/٥: (علي يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله).

ولأجل الحفاظ على الإسلام النقي الأصيل لا بد من إحياء هذه الأيام الثلاثة بما تستحقه، وإظهار معانيها الحقيقية، وقد مرّت قرون على الأمة لم يشهد فيها اليومان الأولان حقهما من الاهتمام الواسع إما تقيةً أو مجاملة لئلا تجرح مشاعر الآخرين (والحق أحق أن يُتَّبع) **[وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ]**.

وبقي يوم الحسين (عليه السلام) وحده معطاءً كريماً حفظ عقيدة الأمة وحماها من الانحراف والزيغ، فلو نال اليومان الآخران ما ناله يوم الحسين (عليه السلام) لاتسعت البركات ولتحقق الفتح بإذن الله تعالى، وهو ما نشهد علائمه وطلائعه اليوم.

فالأمة مدينة بصلاحها واستقامتها وثباتها على الدين وسعادتها في الدنيا والآخرة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين ولفاطمة الزهراء (صلوات الله عليهما) وللقلة القليلة التي ثبتت معهم وحفظت نهجهم وآثارهم للأجيال، وهم قليلون بالعدد إلا أن عطاءهم كبير عمّ ببركاته كل الأجيال.

تثبيت الأمة:

لقد كان للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الأثر الحاسم في تثبيت الأمة عندما انزلقت يوم الانقلاب على الأعقاب، ولم يستطع أحد أن يقف موقفها فقد ضعفت الهمة وجبنت القلوب وخارت القوى وارتفع صوت الشيطان، وعمّت الشبهات وتبلّدت العقول فلم تدرك خطورة الموقف والنتائج الكارثية المترتبة عليه، وكان كل همّها (عليهاالسلام) أن تحفظ مسيرة الإسلام على الصراط المستقيم.

معنى الثبات:

إن مفردة الثبات والتثبيت من القضايا التي اهتم القرآن الكريم بمعالجتها لأن الإنسان يتعرض في هذه الدنيا إلى ابتلاءات كثيرة ومزالق خطيرة لا ينجيه منها إلا طلب التثبيت من الله تعالى والعمل على تحصيل ذلك، لذا كان مطلب المؤمنين في ساحات المواجهة

مع الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء والأعداء من الناس هو **[رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]** (البقرة:٢٥٠) **[وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ]** (آل عمران:١٤٧).

وكانت صفة الثبات عند مزالّ الأقدام هي من الصفات البارزة في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي وصفه بها أمير المؤمنين (عليه السلام) في دعاء الصباح: (والثابت القدم على زحاليفها في الزمن الأول)[١]، وجسّد هذا الثبات في حياته الشريفة حيث لم يجامل ولم يداهن ولم يضعف ولم يقصّر، والشواهد على ذلك كثيرة.

وتأسى به أهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) والصالحون من أتباعه، وكان ديدنهم الثبات والمداومة والصبر والمصابرة حتى آخر نفس ولا معنى لـ(التقاعد) في حياتهم، وبهذا أمرت الأحاديث الشريفة بحيث جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)[٢].

حاجتنا الى الثبات والاستقامة:

---

[١] الزحاليف: جمع زحلوفة وهو المكان شديد الزلق لانحداره وملسه، والزمن الأول بحسب الظاهر هو زمن الخلق والإشهاد وأخذ العهد [وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُرِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىَ أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَىَ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَومَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هذا غَافِلِينَ] (الأعراف:١٧٢).

[٢] ميزان الحكمة: ٢/١٤١٠.

ونحن في هذا الزمان بأمسّ الحاجة إلى التثبيت لكثرة الشبهات وانتشار الضلال والفساد واجتماع الأعداء وتفرّق الإخوان، ولا يتحقق الفوز وحسن الخاتمة إلا بالثبات على الاستقامة، عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال: (من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد، مثل شهداء بدر وأحد) وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: والذي بعثني بالحق بشيراً، إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر)[١].

ولا ينال ذلك إلا بالألطاف الإلهية الخاصة والعمل الجاد لتحصيلها، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل إن شاء ثبّتك فلا يجعل لإبليس عليك طريقاً)[٢]، وفي الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال: تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[٣]، ومن أدعية القرآن الكريم **[رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا]** (آل عمران:٨) وفي مجمع البيان: (قيل: لما نزلت آية **[وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ]** (الإسراء: ٧٤) قال النبي (صلى الله عليه وآله): اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ أبداً)[٤].

فلا يجوز لنا أن نغترّ بمقدار الإيمان الذي نحن عليه والالتزامات الظاهرية التي نؤديها ما لم تقترن بالثبات على الإيمان والاستقامة في موارد الامتحان والابتلاء عندما تتعرض الأقدام

---

[١] الحديثان في ميزان الحكمة: ١٨٠/١.

[٢] الكافي: ٤٢٥/٢.

[٣] ميزان الحكمة: ١٨١/١.

[٤] تفسير الصافي: ٤٣٦/٤.

للانـزلاق بسـبب اتبـاع الهـوى والركـون إلـى الـدنيا والتفـرّق عـن الهادين إلى الحق.

طريق الاستقامة:

وقد دلّتنـا الصـديقة الطـاهرة فاطمـة الزهـراء (عليهـا السـلام) علـى مـا يثبّت الإيمـان فـي قلوبنـا ويـدفعنا إلـى العمـل الصـالح **وهـو اتبـاع أمير المـؤمنين (عليـه السـلام)** والسير علـى نهجـه والتمسك بولايته، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (ما ثَبَّتَ الله حبَّ علي في قلب مؤمن فزلَّت به قدم إلا ثبَّتَ الله قدماً يوم القيامة على الصراط)[١].

وعنـه (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم): (أثبَـتُكم علـى الصـراط أشدُّكم حباً لأهل بيتي)[٢]، وورد عن الإمامين الباقر والصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: **[وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً]** (النساء:٦٦) عن الصـادق (عليـه السـلام): (ولو أن أهل الخلاف فعلوا ما يوعظون بـه فـي علـي (عليـه السـلام)[٣].

ولقد أمرنا الله تعالى بالثبات والصمود على الدوام ودعانا إلى تحصيل أسباب الثبات والاستقامة على الإيمان، **بطاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله (صلى الله عليه وآله) والصبر وترك التنازع** والخلاف المؤدي إلى الانهيار والفشل والإحباط **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ، وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]** (الأنفال: ٤٥-٤٦) **[وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً]** (النساء:٦٦).

كيف نحصّل الاستقامة؟

---

[١] ميزان الحكمة: ١٣٦/١.

[٢] ميزان الحكمة: ١٦١٠/٢.

[٣] تفسير الصافي: ٢٦٦/٢ عن أصول الكافي.

ومن الوسائل الوثيقة لتحصيل الثبات هي **التقوى**، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق)[١].

والورع عن محارم الله تعالى، عن الإمام الصادق (عليه السلام) وقد سئل عما يثبت الإيمان في العبد، قال: (الذي يثبته فيه الورع، والذي يخرجه منه الطمع)[٢].

ولا يثبت الإيمان ويؤتي ثماره إلا **بالعمل الصالح**، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (ولا يثبت الإيمان إلا بعمل)[٣] وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (مرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) برجل يغرس غرساً في حائط له، فوقف له وقال: ألا أدُلّك على غرس أثبت أصلاً وأسرع إيناعاً وأطيب ثمراً وأبقى؟ قال: بلى فدُلّني يا رسول الله، فقال: إذا أصبحت و أمسيت فقل: سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإن لك إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات في الجنة من أنواع الفاكهة وهن من الباقيات الصالحات)[٤].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من زهد في الدنيا، ولم يجزع من ذلها، ولم ينافس من عزها، هداه الله بغير هداية من مخلوق، وعلمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره وأجراها على لسانه) وفي الحديث (من زار الحسين في بقيعه ثبته الله على الصراط يوم تزل فيه الأقدام)[٥].

---

[١] نهج البلاغة: ١٧١/٣ من كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها.

[٢] ميزان الحكمة: ٢٠٠/١.

[٣] الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي: ٤٣٤/١.

[٤] الكافي: ٥٠٦/٢.

[٥] الحديثان في ميزان الحكمة: ١١٧٢/٢.

التثبيت لطف ينطلق من النفس:

إن التثبيت على الإيمان والاستقامة **لطفٌ يؤتيه الله** من يشاء من عباده **[وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً]** (الإسراء:٧٤) **[قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ]** (النحل:١٠٢) **[وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ]** (الأنفال:١١) **[كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ]** (الفرقان: ٣٢).

ولكنه مع ذلك ينطلق من داخل النفس المطمئنة بالإيمان والمحبة لله تبارك وتعالى الذين ذكرهم في كتابه الكريم ووصفهم بأنهم يقومون بأفعال الخير انطلاقاً من رغبتهم النفسية في التثبيت والمداومة على الطاعة: **[وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]** (البقرة: ٢٦٥).

فإذا صدق العبد مع ربّه وسعى بالدعاء والعمل للثبات على الإيمان والهدى ثبّته الله تعالى وآمنه وأسعده في الدنيا والآخرة **[يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ]** (إبراهيم: ٢٧)، وورد في تفسيرها عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه وعن شماله ليضلّه عما هو عليه فيأبى الله عز وجل له ذلك)[1].

دور الاستقامة:

وهذا الخير للأمة هو ما أرادته الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتيها فدعتهم إلى أن يأووا إلى الركن الشديد الثابت أمير المؤمنين (عليه السلام) وحذّرت من مخالفته: (ويحهم أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط

---

[1] تفسير الصافي: ٢٣٩/٤ عن الفقيه وتفسير العياشي.

الروح الأمين، والطَبِين بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين) **[وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ]** (الأعراف:٩٦) وقد حذّرتهم من عاقبة انقلابهم وأنهم بذلك يؤسسون لواقع فاسد وفتنة عظيمة تحرق بشررها كل الأجيال اللاحقة: (أما لعمري لقد لَقِحت، فَنَظِرَةٌ ريثما تُنتج[١]، ثم احتلبوا ملء القُعْب[٢] دماً عبيطاً وزعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَّ ما أسس الأولون).

وأنتم أيها الفاطميون الموالون بإحيائكم للشعائر الفاطمية ونصرتكم لله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) وإظهار المودة لأهل البيت (عليهم السلام) تتمسكون بحبل وثيق من التثبيت الإلهي عند المزالق في الدنيا، وعلى الصراط في الآخرة، قال تعالى: **[إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]** (محمد:٧).

وأي نصرة لله تعالى أعظم من نصرة أوليائه وإظهار حقّهم، وإنصافهم من ظالميهم، فنصرة الزهراء (عليها السلام) وإنصافها من أعظم موارد الحديث الشريف عن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه، ثبّت الله تعالى قدميه يوم تزل الأقدام)[٣].

وقد منّ الله تعالى عليكم بسبب فاعل آخر للتثبيت وهو انتظار فرج إمامنا المهدي المنتظر (أرواح العالمين له الفداء) والأمل

---

[١] تنتج أي تلد والنتاج هو الوضع أو الولادة للبهائم. لسان العرب: مادة (نتج).

[٢] القُعْب: القدح الضخم، وقيل: قدح من خشب مقعّر، وقيل: هو قدح إلى الصغر. لسان العرب: مادة (قعب)، واللوحة التشبيهية التي رسمتها الزهراء (عليها السلام) بليغة للغاية صورّت فيها الفتنة وكأنها دابة ستولد بعد حين من لقاح الفتنة ثم يكون جميع ما يجنونه ويحتلبونه منها الدم العبيط.

[٣] ميزان الحكمة: ٦٥٩/١.

بإقامة الدولة الكريمة على يديه، روى علي بن يقطين عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (قال لي أبو الحسن (عليه السلام): الشيعة تُربّى بالأماني منذ مائتي سنة) وشرحها علي بن يقطين بقوله: (فلو قيل لنا: إن هذا الأمر لا يكون إلى مائتي سنة أو ثلاث مائة سنة لقست القلوب ولرجع عامة الناس عن الإسلام، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه تألّفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج))[١].

ولكم أيها الثابتون على الحق في زمان الغيبة وردت البشرى من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتب الشيعة والسنة قال: (سيأتي قومٌ من بعدكم، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم، قالوا: يا رسول الله نحن كنّا معك ببدر وأُحُد وحنين ونزل فينا القرآن! فقال: إنكم لو تُحمَّلون ما حُمِّلوا لم تصبروا صبرهم)[٢].

---

[١] الكافي: ٣٦٩/١ والغيبة للطوسي: ٢٠٧ وعنهما البحار: ١٠٢/٥٢.

[٢] الغيبة للطوسي: ٢٧٥ والخرائج: ٢٨٤ وعن الطبراني الكبير: ٢٢٥/١٠ وسنن أبي داود: ١٢٣/٤ وابن ماجة: ١٣٣٠/٢ والترمذي: ٢٥٧/٥ وغيرها.

الفصل الثامن:
كيف نكون مع الصديقة فاطمة (عليها السلام) في درجتها؟

هل تريد أن تكونمع الصديقة الزهراء (عليها السلام) في درجتها؟[١]

(١) الخطاب الذي ألقاه سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) على الآلاف من المؤمنين الذين احتشدوا في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف صباح يوم الثلاثاء ٣ ج٢ ١٤٣١ المصادف ٢٠١٠/٥/١٨ قبل انطلاق التشييع للنعش الرمزي للصديقة الطاهرة الزهراء في الزيارة الفاطمية.

قد يبدو توجيه السؤال غريباً ومعروف الجواب سلفاً، إذ لا يوجد عاقل لا يريد أن يكون مع الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) في درجتها، ولكن وجه السؤال هو معرفة ما يصل به الإنسان إلى تلك الدرجة.

وأين هي درجة الزهراء (عليها السلام)؟ إنها مع أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعلها وبنيها (صلوات الله عليهم أجمعين) **[فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ]** (القمر:٥٥) **[أُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً]** (النساء:٦٩)، بل هم (صلوات الله عليهم وسلامه) الجنة الحقيقية، قال تعالى: **[وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ]** (التوبة: ٧٢) ورضا الله تعالى رضاهم كما ورد في الحديث النبوي المتواتر: (إن الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها)[١] وقال الإمام الحسين (عليه السلام): (رضا الله رضانا أهل البيت)[٢].

معنى (فاطمة بضعة مني):

وقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن هذه المعيّة والملازمة بينه (صلى الله عليه وآله وسلم) وبينهم (صلوات الله عليهم أجمعين) في حديث الثقلين المشهور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا بمَ تخلّفوني فيهما)[٣].

([١]) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ١/ ١٤، أعلام النساء : ٣/ ٣١٤.

([٢]) الملهوف: ص١٢٦.

([٣]) الحديث من مسند أحمد بن حنبل، وتجد مصادره من كتب العامة في كتاب (فضائل الخمسة من الصحاح الستة): ٢/ ٥٢-٦٢.

وفي حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي)[١] وحينما يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ابنته الزهراء :(فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني)[٢] فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يريد أن الزهراء (عليها السلام) ابنته وتولدت منه فهي جزء منه، لأن هذا المعنى عام يشترك فيه كل الناس ولا خصوصية لفاطمة من هذه الناحية حتى تستحق البيان، فكل ابن وبنت هما بضعة من والديهما، وإنما يريد (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن فاطمة (عليها السلام) جزء من وجوده المعنوي وامتداد مبارك له وأنها شعاع من شمسه المنيرة. لذا فرّع على هذا المعنى أن من أغضبها فقد أغضبه (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد أكّد الإمام الحسين (عليه السلام) هذا المعنى في خطابه الذي ألقاه في مكة المكرمة قبل خروجه إلى العراق ومما قال (عليه السلام): (رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده)[٣].

المعية مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

أيها الأحبة: لقد كفانا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤونة البحث عن إجابة السؤال الذي جعلناه عنواناً للخطاب، ودلّنا على ما يوجب اللحوق به (صلى الله عليه وآله وسلم) وببضعته الطاهرة (عليها السلام) في أحاديث عديدة، كالذي رواه الترمذي في

---

(١) كنز العمال: ٤٠٠/٥ الحديث ٣٦٣٤٥ ومصادر الحديث من كتب العامة في (فضائل الخمسة من الصحاح الستة): ١٢٩/٣-١٣١.

(٢) هذا نص البخاري في صحيحه وتوجد مصادره في المصدر السابق.

(٣) مقتل الحسين (عليه السلام): للسيد المقرم: ١٩٣.

صحيحه وأحمد بن حنبل في مسنده وغيرهم من علماء العامة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه (أخذ بيد حسن وحسين (عليهما السلام) فقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة)[١] ولكن هذه الأحاديث يجب أن تُفهم في سياقاتها الطبيعية أي المعنى الحقيقي للحب ولوازمه وآثاره.

من كفل يتيماً كان معهم (عليهم السلام):

والذي نريد أن نجعله محوراً لكلامنا اليوم ما رواه الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (صلوات الله عليهم أجمعين) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (من كفل يتيماً وكفل نفقته كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين إصبعيه المسبّحة والوسطى)[٢].

وفي رواية أخرى قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عز وجل) وأشار بالوسطى والتي تليها)[٣]، والحديث مشهور، وإن كان ينقل من دون جزئه الأخير الذي هو شرط قبول الأعمال، قال تعالى: **[إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ]** (المائدة:٢٧) لكنه هنا شرط لكون كافل اليتيم في درجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس شرطاً لإعطاء الجزاء، لأن أعمال البر والإحسان يثاب عليها الإنسان ولو لم يقصد بها وجه الله تعالى.

فضل كافل اليتيم:

---

(١) تجد مصادر الحديث في كتاب (فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢٩٩/١-٣٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ٣/٧٥ عن قرب الإسناد بسند مقبول.

(٣) تفسير نور الثقلين: ٥٩٧/٥.

إذن هذا سبيل يوصلك لتكون مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في درجته بلطف الله تبارك وتعالى وكرمه، وقد تواترت الأحاديث في فضل كفالة اليتيم ورعايته منها ما روي عن رسول الله قوله: (إن في الجنة داراً يقال لها دار الفرح لا يدخلها إلا من فرّح يتامى المؤمنين)[١] وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من قبض يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ألبتة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر)[٢].

وعن أبي الدرداء قال: (أتى النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل يشكو قسوة قلبه، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أتُحبُّ أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك)[٣].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم إلا كتب الله له بكل شعرة مرّت يده عليها حسنة)[٤].

وعن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من عال يتيماً حتى يستغني عنه أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة كما أوجب الله لآكل مال اليتيم النار)[٥].

الأيتام المعنويون:

ويوجد أيتام من نوع آخر هم أكثر عدداً يكاد يمثلون أغلب الناس، وكفالتهم لا تحتاج إلى المال، بل إلى الجهد والهمة

---

(١) كنز العمال: ح٦٠٠٨.

(٢) الترغيب والترهيب: ٣/٣٤٧.

(٣) الترغيب والترهيب: ٣/٣٤٩.

(٤) بحار الأنوار: ٧٥/٤.

(٥) بحار الأنوار: ٧٥/٤.

والإخلاص، وكافلهم يكون أقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأول، تعرّفهم لنا جملة من الأحاديث الشريفة[١] وتبين منزلتهم (الكافلين) عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) قال: (حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: أشد من يُتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى)[٢].

وعن أبي محمد العسكري (عليه السلام) قال: (قال الحسن بن علي (عليهما السلام): فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرجه من جهله، و يوضح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها[٣]).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال الحسين بن علي (عليهما السلام) من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محبتنا[٤] باستتارنا فواساه من

---

(١) هذه المجموعة من الأحاديث أثبتها العلامة المجلسي (قدس سره) في بحار الأنوار: ٢/ ٢-٦ في الباب ٨ من كتاب العقل والعلم والجهل، أبواب العقل والجهل، عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) وكتاب الاحتجاج للطبرسي.

(٢) الأحاديث من بحار الأنوار الباب المذكور على التسلسل: ١، ٤، ٥، ٩، ١٠، ١١.

(٣) السها في لغة العرب كويكب صغير خفي الضوء، والناس يمتحنون به أبصارهم لصغره وخفائه.

(٤) أي كان سبب انقطاعه عنا رغبتنا في الاستتار رعاية لحكمة إلهية عظمى. وفي نسخة (محنتنا) وهو أظهر.

علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه، قال الله عز وجل: يا أيها العبد الكريم المواسي أنا أولى بالكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علّمه ألف ألف قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال موسى بن جعفر (عليهما السلام): فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد؛ لأن العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد، وألف ألف عابدة).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال علي بن موسى الرضا (عليهما السلام): يقال للعابد يوم القيامة: نِعم الرجل كنت همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤونتك فادخل الجنة، ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم، ووفّر عليهم نعم جنان الله وحصل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لمن أخذ عنك، أو تعلّم منك فيقف فيدخل الجنة معه فئاماً وفئاماً وفئاماً[1] حتى قال عشراً).

وعنه (عليه السلام) قال: (قال محمد بن علي الجواد (عليهما السلام): من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم، الأُسراء في أيدي شياطينهم، وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم، وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين برد وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم لَيُفضّلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على

([1]) فئام: الجماعات الكبيرة من الناس، وطبقت في بعض الموارد -كيوم الغدير- على مئة ألف.

الأرض و العرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء).

الزهراء (عليها السلام) تكفل الأيتام:

وقد كانت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تحذو حذو أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) في أقواله وأفعاله وخصاله الكريمة وهديه وسمته، ومع أن علم الله تعالى سابق بأنها (صلوات الله عليها) في درجة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجنة إلا أنها مع ذلك كانت حريصة (صلوات الله عليها) على أن تقوم بكل ما يقربها إلى الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويجعلها معه في درجته ولم تتكل على ذلك الاستحقاق والعطاء السابق، بل عزّزته بالمثابرة والعمل الدؤوب وتحمّل كل المشاق في القيام بمسؤولياتها والصبر عليها، فتأكد استحقاقها لتلك الدرجة الرفيعة، وقد ورد في زيارتها (سلام الله عليها) يوم الأحد (السلام عليك يا ممتحنة، امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك، وكنت لما امتحنك به صابرة) فقد أدت ما عليها ووفت بما عاهدت ربها عليه من الالتزامات فنجحت في الامتحان بأعلى درجات النجاح.

الأيتام بكلا النوعين:

ومن مورد صدقها فيما امتُحنت به كفالة الأيتام بالمستويين اللذين ذكرناهما.

أما الأول فقد شهد الله تبارك وتعالى لها ولزوجها أمير المؤمنين ووليديها الحسن والحسين (صلوات الله عليهم) في القرآن الكريم بإطعامهم اليتيم مع حاجتهم للطعام حباً لله تبارك وتعالى وإخلاصاً لوجهه الكريم **[وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً]** (الإنسان: ٨-٩).

ونقرأ في سيرتها (صلوات الله عليها) أنها طحنت بالرحى حتى مجلت يداها وأشعلت التنور حتى دكنت ثيابها وما ذلك لإطعام

زوجها وبنيها لأنهم خمص البطون، وكانوا يكتفون من الطعام بما يسد رمقهم، وإنما كان ذلك لكثرة من تطعمهم وتتكفل بهم كما تشهد به روايات أخر، ولم تغب عنها الوصية بالأيتام وهي تودع الحياة الدنيا، روي أنه جاء في وصيتها (عليها السلام) لأمير المؤمنين (عليه السلام) بالحسن والحسين (عليهما السلام): (يا أبا الحسن ولا تَصِحْ في وجهيهما فإنهما سيصبحان يتيمين من بعدي، بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقدان أمهما)[١].

وأما على المستوى الثاني لكفالة الأيتام فقد كانت لها حركة دؤوبة وهمة لا تعرف التواني والتقصير، روي عن الإمام أبي محمد العسكري (عليه السلام) أنه قال: (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة (عليها السلام) عن ذلك، فثنت فأجابت ثم ثلثت إلى أن عشّرت فأجابت ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول الله، قالت فاطمة: هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى أن لا يثقل عليّ، سمعت أبي (صلى الله عليه وآله) يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد (صلى الله عليه وآله)، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر

---

(١) بحار الأنوار: ١٧٨/٤٣.

ما أخذوا عنهم من العلوم حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم، وتضعفوها لهم فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم. وقالت فاطمة (عليها السلام): يا أَمَة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر)[١].

وروي عنه (عليه السلام) قال: (قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): من قوّى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه لقنه الله يوم يُدلى في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدتي، والمؤمنون إخواني. فيقول الله: أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة)[٢].

مسؤوليتنا عن كفالة كلا النوعين من الأيتام:

أيها الأخوة والأخوات: لنتأسّ بالصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) حتى نكون معها ومع أبيها الرسول الكريم (صلوات الله عليهما وآلهما) في درجتهما في الجنة بكفالة كلا النوعين من الأيتام.

فبلدنا اليوم يعج بمئات الآلاف من الأيتام بسبب ما تعرض له من جرائم القتل والبطش والحروب والمقابر الجماعية في عهد صدام ولجرائم القتل المنظم والإرهاب والفوضى المتعمدة والقتل العشوائي في عهد الاحتلال، وهؤلاء الأيتام في الوقت الذي يشكّلون فيه مسؤولية على الأمة جميعاً تقتضي احتضانهم ورعايتهم

---

(١) بحار الأنوار: الموضع السابق، ح٣.

(٢) بحار الأنوار: الموضع السابق، ح١٤.

وتـربيتهم، وإلا تحولـوا إلـى جيـل كامـل مـن المجـرمين والقتلـة والمرضـى النفسيين والمنحـرفين أخلاقيـاً والحاقدين علـى المجتمـع، في الوقت نفسه هم يمثلون فرصة عظيمة للطاعة امتثـالاً للتوجيهـات النبوية الشريفة المتقدمة.

أمـا النـوع الثـاني مـن اليتيم فهـو صـفة أكثـر النـاس فـإنهم بـين جاهل بالشـريعة لا يعـرف حتـى الأحكـام الأساسـية التـي يبتلـى بهـا يومياً كالوضوء والصـلاة والغسل وبعض المعـاملات، وبـين مفتـون قد اضطربت في ذهنه الأفكار وعصفت به الضلالات، وبين متورط في المعاصي بسبب غفلته وعدم وجود من يعظه ويذكره بالله تعالى، وبـين إمّعـةٍ ينعقون مـع كـل نـاعق -كمـا وصـفهم الحـديث الشـريف- وبين ضعيف أو مستضـعف يحتـاج إلـى من يقوي فيـه عقائده ويشدّ إيمانه، ولعلكم تعرفون أكثر مني مصاديق ذلك من خـلال احتكـاككم بالناس واطلاعكم على البيئة التي تعيشون فيها، ولعل بعضـكم اطلـع على الكثير مما ذكرت من خلال التجمعات الكبيرة التـي تحصـل فـي بعض المناسبات الاجتماعية والدينية وغيرها.

فأمـامكم فرصـة واسـعة لنيل القرب من رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) والصـديقة الطـاهرة فاطمـة الزهراء برعايـة الأيتـام مـن النـوع الأول وكفـالتهم بالمسـاعدات الماليـة ورعـايتهم وتـربيتهم وإنشاء مؤسسات الحضانة والتعليم والترفيه لهم ونحوها، وقد أذنـت المرجعية بصرف قسم كبير من الحقوق الشرعية لكفالة الأيتام.

والفرصة الأوسع التي أمامكم هي كفالة الأيتام من النوع الثاني وهي متاحة للجميع إذ ما من أحد منـا إلا ويعرف مسـألةً شرعيةً أو حديثاً شريفاً أو نصيحةً مفيدةً فلنُنظّم جميعاً ببركـة الزهراء (عليهـا السـلام) حملـة واسـعة نقوم خلالهـا بتعليم النـاس كـل كلمـة مفيـدة أو موعظـة تسـمعونها أو مسـألة شـرعية تتعلمونهـا أو عمـل صـالح تهتدون إليه، أو نصيحة ترشدهم وتصحح أخطاءهم وغيرها كثير.

فـلا تبخلـوا بكـل ذلـك علـى النـاس سـواء داخـل الأسـرة أو

لزملائكم في العمل أو المنطقة أو رفقائك في السفر، وانقلوها لأكبر عدد منهم ليزداد أجركم وتحظون برضا الله تبارك وتعالى والمنزلة الرفيعة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والصديقة الطاهرة الزهراء (صلوات الله عليها)، فهذه الوظيفة ليست حكراً على الحوزة العلمية ونحوها بل هي مسؤولية كل من تعلم ولو مسألة واحدة وأنتم شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فاحفظوا وصيته بالأيتام عند وفاته (صلوات الله عليه) وقد رويت في الكافي بسند صحيح ومما جاء فيها: (الله الله في الأيتام؛ فلا تغبّوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب اله عز وجل له بذلك الجنة كما أوجب الله لآكل مال اليتيم النار)[١].

التأسي بصاحب الزمان (عليه السلام):

وتأسّوا بإمامكم المهدي الموعود (صلوات الله عليه) فإنه مع ما يعانيه من ألم الغيبة عن ممارسة دوره الكامل في حياة الأمة فإنه لم يغفل لحظة عن رعاية شيعته، قال (عليه السلام): (نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الفاسقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم، مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جل جلاله..)[٢].

---

(١) الكافي: ٥١/٧-٥٢ باب صدقات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفاطمة والأئمة (عليهم السلام) ووصاياهم، ح٧.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ٣٢٣/٢.

الفصل التاسع:
السيدة الزهراء توقظ الأمة لمعرفة قادتها

السيدة الزهراء (عليها السلام) توقظ الأمة لمعرفة قادتها[١]

الغفلة الأخلاقية:

ورد في حديث مشهور (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[٢] فالناس وإن تراهم يعملون ويأكلون ويتحدثون إلا أنهم في نومٍ هو نوم الغفلة عن حقيقة وجودهم، وما يراد منهم والهدف الذي يجب أن

---

(١) كلمة سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) يوم السبت ٣/ج١٤٣٢/٢ الموافق ٢٠١١/٥/٧، التي ألقاها على الجموع القادمة لزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) في المناسبة.

(٢) نسبه العلامة المجلسي (رحمه الله) في بحار الأنوار (٤٣/٤ وفي ١٣٤/٥٠) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونسبه ابن ميثم البحراني في (شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، الكلمة الثانية) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يذكر مصدراً لذلك فلعلها كلمة مشهورة مستفادة من أحاديث المعصومين (عليهم السلام) التي سترد في الخطبة، ولعلها مستفادة من قول الإمام علي (عليه السلام): (أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام) (نهج البلاغة، ج٤).

يتوجهوا إليه، وما الذي ينتظرهم بعد موتهم والنتيجة التي سيحصلون عليها من السعادة أو الشقاء، فإذا ماتوا اكتشفوا أنهم كانوا في هذه الغفلة، وفوجئوا بعدم الاستعداد لتلك الحياة الجديدة الدائمة التي لا يستطيع أحد مهما أوتي من علم أن يدعي معرفة حقيقتها إلا من عرّفهم الله تعالى، وحينئذٍ سيصاب بالذهول وتأخذه الحسرة والندامة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت)[1]، قال تعالى في ذلك: **[وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ، وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ]** (ق:١٩-٢٢).

لقد كنت في الدنيا غافلاً عن هذه المشاهد وهذه العاقبة منهمكاً في مشاغلها من مالٍ ومتعة ولهو ولعب وعبث وصراعات وجدلٍ فارغ من غير استعداد لهذا اليوم، وبالموت انكشف عنك غطاء الغفلة فصرت ترى بعين البصيرة النافذة الحادة حقيقة أمرك وعاقبتك بعد زوال الحجاب عنها، فما كنت تعتقد أنه حقيقة من مشاغل الدنيا ولهوها ومتعها وجدت أنه خيال ووهم زائل وسراب كنت تتعلق به يحسبه الظمآن ماءً، وما كنت غافلاً عن الاستعداد له ولا تحسب حسابه –وهو الموت وما بعده من أهوال الآخرة- قد وجدته حقيقة ثابتة، فالغفلة باتجاهين **[وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ]** (الزمر:٤٧).

معنى الغفلة:

وبقراءة ما بين سطور الآية الشريفة نستنتج أن هذه الحقائق موجودة في هذه الدنيا؛ لأن الغفلة لا تكون إلا عن شيء موجود،

---

[1] نهج البلاغة، خطبة ١٠٩.

لكن الإنسان لا يرى تلك الحقائق بالعين وإن كانت مفتوحة وإنما بالبصيرة والقلب الطاهر من الرجس فإذا ضرب عليه بحجاب من الغفلة والقساوة والرين فإنه سوف لا يكون مرآةً قابلة لانعكاس الحقائق الموجودة في اللوح المحفوظ.

وفي غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (انتباه العيون لا ينفع مع غفلة القلوب)[١] ، والخطاب في الآية الشريفة **[لَقَد كُنتَ في غَفلَةٍ]** لا يشمل من بلغوا من المعرفة أقصاها وزالت عن بصائرهم حجب الجهل والغفلة وغشاوتها لأنهم مبصرون وليسوا غافلين، لذا فهم يرون العالم الآخر ويتحدثون عنه كرسول الله[٢] (صلى الله عليه وآله وسلم)، فترى أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل نفس تعبير الآية الشريفة حينما قال: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)[٣]؛ لأنه (عليه السلام) لم يكن في غفلة عن هذه الحقائق بل كانت حاضرة عنده (عليه السلام).

إن الغفلة –وكذا النسيان- وإن كانت أمراً خارجاً عن إرادة الإنسان ظاهراً، إلا أن الإنسان هو الذي يوقع نفسه فيها لقلة تحفظه وانتباهه وبارتكابه مقدماتها وإيجاده الأسباب الموجبة لها، والتي نعرفها من مضاداتها أي علاج الغفلة التي ذكرها الأئمة (عليهم السلام).

الغفلة أضر الأعداء:

---

(١)غرر الحكم: ٩٠٩.

(٢) والشواهد على ذلك كثيرة كتكليم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقتلى بدر وحكايته عما جرى لسعد بن معاذ من ضغطة القبر ولعبد الله والد جابر الأنصاري من النعيم بعد موتهما، ولعمرو بن لحي وغيرهم.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ٣١٧/١.

فالإنسان إذن هو الذي يحرم نفسه من معرفة الحقيقة ويحبسها في سجن الغفلة، حينما يرتكب ما يبعده ويشغله عن الله تعالى حتى يقسو قلبه فلا يتقبل المعرفة، عن الإمام الحسن (عليه السلام): (الغفلة تركك المسجد وطاعتك المفسد)[١] وهذه بعض مصاديق ما يوجب الغفلة، وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (إياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب)[٢]، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في غرر الحكم: (من غلبت عليه الغفلة مات قلبه)[٣] (دوام الغفلة تعمي البصيرة)[٤].

ولقد ورد التحذير من الغفلة عن الله تبارك وتعالى قال سبحانه: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]** (الحشر:١٩)؛ لذا وصفها أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن (الغفلة أضرُّ الأعداء)[٥] لأن (الغفلة ضلال النفوس وعنوان النحوس)[٦] وقال (عليه السلام): (ويل لمن غلبت عليه الغفلة فنسي الرحلة ولم يستعد)[٧].

ما يوقظ من الغفلة:

وبينوا (عليهم السلام) لنا ما يوقظ من نوم الغفلة،**كالقيام بالأعمال الصالحة** ولو على مستوى النية وإن لم يفعلها، فعن النبي

---

[١] بحار الأنوار: ١١٥/٧٨.

[٢] مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٩٣.

[٣] غرر الحكم: ٥٧٦٥.

[٤] غرر الحكم: ٥١٤٦.

[٥] غرر الحكم: ٥٧٤٤.

[٦] السابق: ٥٧٤٦.

[٧] السابق: ٢٦٥٦.

(صلى الله عليه وآله وسلم): (يا أبا ذر: همّ بالحسنة وإن لم تعملها؛ لكي لا تكتب في الغافلين)[١].

وتلاوة القرآن، فقد روي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين)[٢].

وتقوى الله تبارك وتعالى، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أوصيكم بتقوى الله.. أيقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم)[٣].

والإكثار من ذكر الله تعالى، فعنه (عليه السلام): (بدوام ذكر الله تنجاب الغفلة)[٤].

والاستعداد للموت، قال (عليه السلام): (إن من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد)[٥].

واستماع المواعظ، ومطالعة كتب الموعظة والتذكير بالآخرة، قال (عليه السلام): (بالمواعظ تنجلي الغفلة)[٦] ، (أغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال إلى حال)[٧] .

وترك اللهو والعبث، والأمور الفارغة، والاشتغال بما هو مفيد، قال (عليه السلام): (إن كنتم للنجاة طالبين فارفضوا الغفلة واللهو والزموا الاجتهاد والجد)[٨].

---

(١) البحار: ج٧٧ ص٨٨.

(٢) أصول الكافي، كتاب فضل القرآن، باب ثواب قراءة القرآن، ح٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة:١٩١.

(٤) غرر الحكم: ٤٢٦٩.

(٥) التوحيد: ص٧٤.

(٦) غرر الحكم: ٤٥٣٠.

(٧) البحار: ج٧٧ ص١١٢.

(٨) غرر الحكم: ٥٧٤٩.

والالتزام بالصلاة والمحافظة على أوقات فضيلتها، عن الباقر (عليه السلام): (أيما مؤمن حافظ على الصلوات المفروضة فصلاها لوقتها فليس هذا من الغافلين)[١].

وقد تضمنت الأدعية المباركة طلب اليقظة من الغفلة كقولهم (عليهم السلام): (نبهني فيه من نومة الغافلين) [٢].

الغفلة عن القيادة الرسالية:

أيها الإخوة المؤمنون: هذه الغفلة عن الله تعالى ترتبط بها غفلة أخرى لا تقل عنها ضرراً هي عدم الاهتداء إلى الحجة المنصوب من الله تعالى لأن بها الضلال عن الدين كما في الدعاء المعروف: (اللهم عرّفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)[٣] وفي ذلك يقول الإمام الحسين (عليه السلام): (معرفة الله هي معرفة كل أهل عصر إمامهم)[٤].

فأخطر النوم الذي سيعرف الإنسان حقيقته عندما ينكشف عنه غطاء الغفلة بالموت، هو النوم عن معرفة السبيل الذي يوصله إلى معرفة ربّه ويهديه إلى الصراط المستقيم وفي دعاء الندبة (وقلتَ ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً، فكانوا هم السبيل إليك والمسلك إلى رضوانك)[٥].

والغفلة عن القيادة الحقة للأمة قد تكون غفلة كاملة باتباع قيادة مناقضة تماماً لها كمن اتبع معاوية ويزيد ونظراءهما وعادى علي بن أبي طالب والحسن والحسين وأولادهم المعصومين (سلام الله

---

(١) الكافي: ج٣ ص٢٧٠.

(٢) دعاء يقرأ في الأول من شهر رمضان،البحار: ج٩٥ ص٤.

(٣) مفاتيح االجنان: ص١١٢.

(٤) علل الشرائع: ج١ ص٩، والبحار: ج٥ ص٣١٢.

(٥) مفاتيح الجنان: ص٦٠٦.

عليهم أجمعين)، وقد تكون على نحو الانحراف عنها باختيار غير الأكفأ والأقدر على تحمل المسؤولية.

وبحسب نوع الغفلة ودرجتها تتفاوت الآثار[١] المترتبة على ذلك ومقدار الابتعاد عمّا أمر الله تعالى، وإن كان الحق واحداً وصراطه مستقيم، وإنما تتكثر طرق الضلالة والانحراف **[أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ]** (يونس:٣٥) **[فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ]** (يونس:٣٢).

لماذا خرجت السيدة الزهراء (عليها السلام)؟

أيها الإخوة المجتمعون على محبة الزهراء (عليها السلام) ونصرتها:لم تكن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) حين خرجت إلى مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) راغبة في أن تخرج من دارها؛ لأنها القائلة حين سأل أبوها (صلى الله عليه وآ له) عما هو خير للنساء فأجابت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، وحينما تزوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) وانتقلت من دار أبيها رسول الله إلى دار زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام)، قسّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العمل بينهما فجعل على علي (عليه السلام) ما خلف باب الدار وعلى فاطمة (عليها السلام) ما دون الباب، فقالت فاطمة (عليها السلام): (فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله بإكفائي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحمّل رقاب الرجال)[٢].

لكنها خرجت مرغمة لأداء واجبها في إيقاظ أمة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) من الغفلة التي اعترتهم والتفريط في وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأرادت أن ترفع عنهم حجاب

---

[١] يوجد تفصيل لهذه الآثار في خطاب (ماذا خسرت الأمة حين ولّت الأمة من لا يستحق) المنشور في كتاب (من وحي الغدير).

[٢] بحار الأنوار: ٨١/٤٣ عن قرب الإسناد: ٥٢/ح ١٧٠.

الغفلة، وتحذّرهم يوم يكشف الغطاء عنهم، وتذكرهم بلزوم طاعة الإمام الحق أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانت كلماتها (عليها السلام) تقع كالصاعقة عليهم كقولها (عليها السلام): (معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها؟ كلا بل رانَ على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء ما به أشرتم، وشرٌّ ما منه اعتضتم[١] (اغتصبتم)، لتجدنَّ –والله- محمله ثقيلاً وغبَّه وبيلاً إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون)[٢].

وبيّنت (عليها السلام) للأمة من خلال نساء الأنصار اللواتي زرنها صفات المستحق لإمامة الأمة وقيادتها (ويحهم، أنّى زحزحوها! عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين[٣] بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين. وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه –والله- نكير سيفه وقلة مبالاته بحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمّره[٤] في ذات الله عز وجل. والله لو تكافّوا[٥] عن زمام نبذه رسول الله إليه لاعتقله ولسار بهم سيراً سُجُحاً[٦] لا يكلم خِشاشُه[١] ولا يتعتع [٢]

---

[١] اعتضتم: من الاعتياض وهو أخذ العوض والمقصود هنا الاستبدال.

[٢] البحار: ج٢٩ ص٢٣٢، والاحتجاج: ج١ ص١٠٤، والمناقب: ج٢ ص٢٠٦.

[٣] الطبين الحاذق الفطن العارف.

[٤] التنمر: الغضب، والمقصود من ذات الله أي لوجه الله عز وجل.

[٥] تكافّوا: صرف بعضهم بعضاً، والزمام مقود البعير أو الخيط الذي يشد في ثقب أنف البعير، وفي رواية أخرى (لو تكافئوا على زمام نبذه رسول الله إليه لاعتقله..).

[٦] السير السجح: السهل اللين.

راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويّاً فضفاضاً تطفح ضفتاه ولا يترنّق جانباه[٣].
ولأصدرهم بِطاناً[٤] ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يحلى[٥] من الغنى بطائل ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ريّ الناهل وشبعة الكافل[٦]. ولَبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب **[وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ])**[٧].
وحذّرتهم (سلام الله عليها) من عاقبة فعلتهم حينما صرفوا الأمر إلى غير أهله فقالت: (أما لعمري لقد لقحت فنَظِرةٌ ريثما

---

[١] لا يكلم: لا يجرح، والخشاش: الخيط الذي يدخل في أنف البعير.

[٢] يتعتع راكبه: يقلق ويتحرك حركة عنيفة.

[٣] المنهل: محل ورود الماء، والنمير: الماء العذب السائغ النامي للجسد، والرويّ: الكثير، والفضفاض: الواسع، ويترنّق: يتكدر.

[٤] البطان: جمع بطين وهو عظيم البطن، وأوردهم: جاء بهم إلى الماء وأصدرهم: أي أرجعهم بعد الري.

[٥] يحلى: يصيب ويستفيد، والطائل: كثير فائدة.

[٦] الناهل: العطشان أو الشارب الذي روى فاعتزل فيكون شربه قليلاً بعدها، ويحتمل أن يكون الناهل بمعنى الذي ينهل قليلاً من الماء فالنهل هو أول الشرب، والكافل المسؤول عن العيال الذي يؤثرهم على نفسه فيقلل طعامه، وفي اللغة أيضاً أن الكافل هو الذي لا يأكل أو الذي يواصل الصيام. والتمثيل واضح أنه (عليه السلام) سوف لن يتناول من الدنيا إلا بما يقيم أوده كما فعلها في فترة حكومته (سلام الله عليه)، وفي اللغة أيضاً أن الكافل هو الذي لا يأكل أو الذي يواصل الصيام.

[٧] البحار: ج٤٣ ص١٥٨، والاحتجاج: ج١ ص١٠٨.

تُنتج[١]، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً[٢]، وذعافاً مبيداً[٣]، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ[٤] ما أسسه الأولون، ثم طِيبوا عن دنياكم أنفساً[٥]، واطمئنوا للفتنة جأشاً[٦]، وأبشروا بسيفٍ صارم وسطوة معتدٍ غاشم، وهرْج[٧] شامل، واستبداد من الظالمين يدعُ فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً. فيا حسرةً لكم، وأنّى بكم؟ وقد عميت عليكم[٨]، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون؟)[٩].

الأئمة (عليهم السلام) وإيقاظ الأمة تجاه القيادة الرسالية:

وهذا ما سار عليه أولادها المعصومون (عليهم السلام) فقد كانوا يوقظون الأمة وينبهونها إلى الإمام الحق، ومما ورد في كتاب الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أهل الكوفة يعْلمهم بإرسال ابن

---

[١] لقحت الفتنة إذا استثيرت، تشبيهاً بتلقيح الدابة، وتنتج: تلد، والنظِرة: المهلة، أي انتظروا حتى تلد الفتنة قصدت بها (عليها السلام) ما ينتظر هذه الأمة من ويلات بسبب الفتنة التي حصلت يومها.

[٢] القعب: إناء ضخم، والدم العبيط: الطري.

[٣] الذعاف: السم السريع الإفناء، والمبيد المهلك.

[٤] الغب: العاقبة أو الجزاء.

[٥] طابت نفسه عن الشيء: أي نسيه ولم يفكر فيه، إشارة إلى أنكم ستخسرون أنفسكم وهو تعبير للسخرية منهم ولتهويل خسارتهم.

[٦] هذا هو الموجود في المصدر الذي بين يدي، والأصل ربما (وطامنوا للفتنة جأشاً) يعرف ذلك من خبر اللغة وهو كلام سائر في كلام العرب وطامن القِدر وطأمنه أي سكّنه والجأش: القلب أو النفس من الاضطراب والروعان، وسبيل هذا التعبير من التشبيه سبيل سابقه من التهويل والاستهزاء نظير قوله تعالى: [فبَشّرهُمْ بعَذَابٍ أَلِيمٍ].

[٧] الهرج: الفوضى أو الفتنة.

[٨] أنى لكم: من أين لكم الهداية، أو: أين تذهبون وتتيهون مثل قوله تعالى: [فَأَنّى يُؤفَكُونَ].

[٩] الاحتجاج: ج١.

عمه مسلم بن عقيل: (فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله)[١].

وحذّرهم (عليه السلام) يوم كربلاء من مغبة اتباع القادة الضالين المنحرفين وترك أئمة الحق والهدى الذين تجب على الجميع نصرتهم ومن أقواله (عليه السلام): (تبّاً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم[٢] موجفين[٣] سللتم علينا سيوفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا –لكم الويلات- تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف[٤]... ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون، أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يُركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور، عهدٌ عهده إليّ أبي عن جدي رسول الله)[٥].

وترجم الشهيد زهير بن القين هذا المعنى في خطبته التي وجهها إلى جيش الأمويين يوم عاشوراء ومما جاء فيها: (فإنكم لا تدركون منهما –أي يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد- إلا سوء

---

[١] مقتل الحسين (عليه السلام) للسيد المقرّم: ١٦٥.

[٢] استصرخ: استنجد، وأصرخ: لبى الاستصراخ وأنجد المستصرخ، والواله: هو المتحير أو الخائف.

[٣] الوجيف سرعة السير، وربما يطلق على المشي الشديد ويستعمل في المشي بجد وقصد قال تعالى: [فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ] (الحشر: ٦).

[٤] السيف مشيم: أي مغمد، والجأش طامن: تقدم المعنى، وهو تشبيه للنفس أو القِدر بأنه مطمئن كناية عن استقرار الأمر وهمود الفتنة، والرأي لما يستحصف: لم يصبح حصيفاً واضحاً جازماً بعد: أي رأي أعدائه في قتله أي لم يكونوا ليتجرأوا عليه ولكنكم سهلتم له ذلك (فتطايرتم عليها تطاير الدبا (وهو الجراد) وتهافتم عليها كتهافت الفراش).

[٥] مقتل الحسين للسيد المقرم: ٢٨٦-٢٨٨.

عمر سلطانهما، ليَسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه)[١].

نتائج الغفلة عن القيادة الحقيقية:

وهذا ما حصل ويحصل في كل زمان حتى يومنا الحاضر حيث لم تحصد الأجيال من تسلط وزعامة غير المؤهلين لقيادة الأمة إلا الفتن والضلال وتمزيق الشمل، والصراعات التي أهلكت الحرث والنسل، وتشويه صورة الإسلام، وضعف الوازع الديني بحيث لا يبقى من المتدينين إلا النزر اليسير، وتلكؤ حركة الإسلام لهداية البشرية، وحرمان الناس من ثروته المعنوية الهائلة، واستعباد الناس والاستئثار بثروات الأمة وهدرها على نزوات وأطماع المتسلطين وفسادهم، وغيرها من الكوارث العظيمة.

النهضة الفاطمية:

يا أنصار الزهراء.. إننا نشهد اليوم ازدهار النهضة الفاطمية المباركة وانتصار موقفها، فبعد أربعة عشر قرناً من محاولات فقهاء السلطة إخضاع الناس لإرادة السلطان الذي يسمي نفسه أمير المؤمنين، وإجبار هم على طاعته باعتباره عندهم هو المقصود بأولي الأمر في الآية الشريفة **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ]** (النساء:٥٩) وحرّموا الخروج عليهم مهما بلغ فسقهم وفجورهم وظلمهم حتى قالوا عن الحسين (عليه السلام) سبط النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) (أنه قُتل بسيف جده)[٢] لأنه خرج طلباً للإصلاح في الأمر وليصحح الانحراف في مسيرة الحكام.

---

[١] مقتل الحسين للسيد المقرم: ٢٨٣.

[٢] الكلمة للقاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه العواصم من القواصم: ص٢١٤، وأنظر: فيض القدير: ج١:ص٢٦٥ ح ٢٨١، ومقدّمة ابن خلدون: ١٧١.

ووقفت الزهراء (عليها السلام) من أول يوم لانقلاب الأمة لتكشف الانحراف ولتوقظ الناس من غفلتهم وترشدهم إلى الإمام الحق، وأن القيادة لا تكون بالادعاءات وإنما بالاستحقاق والمؤهلات التي يريدها الله تبارك وتعالى لكن تزوير الحقائق الذي مارسه فقهاء السلطة عبر القرون رسخ في أذهان أتباعهم فرسّخوا عقيدة أن من يتسلط على رقاب الناس ولو بالسيف والقهر والانقلابات العسكرية هو ظل الله في الأرض وخليفته، وأن الله تعالى يأمر بطاعتهم ولا يزال الكثير منهم يرددها.

ثورة الشعوب وانتصار القيم الفاطمية:

لكن شعوب المنطقة اليوم بثورتها على حكامها الطواغيت ونزوعها إلى الحرية، رفضت ذلك التزوير للحقائق الذي مارسه علماء السوء فاضطر بعضهم إلى مجاملة حركة الشعوب وتأييدها، فأثبت الواقع على الأرض دحض نظرية أعداء السيدة الزهراء من أمويين وعباسين وأمثالهم، وآمن الجميع –شاؤوا أم أبوا- بصحة ما طالبت به الزهراء (عليها السلام) من تسليم الأمر إلى أهله ومستحقيه.

بل النصر أوسع من ذلك فإن ما يدور في أروقة الأكاديميات السياسية في أمريكا وأوربا هو فشل نظرياتهم في الحكم؛ لأن أساس الحكم هو العدل والهدف منه توزيع الحقوق والواجبات على الناس بالقسط والعدل، وهذا ما لم تستطع تحقيقه كل أنظمة الحكم الوضعية التي صنعتها البشرية لنفسها، ففشلت الدكتاتورية أولاً؛ لأنها تجمع الامتيازات بيد الفرد على حساب الأمة، فنادوا بالديمقراطية واعتبروها أعظم الإنجازات البشرية في الحكم ثم ثبت لديهم فشلها لأنها ترعى مصالح النصف زائداً شيء على حساب النصف ناقصاً شيء، فعدلوا إلى فكرة الشراكة في الحكم ثم وجدوها بائسة تشلّ الحياة لأنها تتحول إلى محاصصة على حساب المهنية والكفاءة والنزاهة، وضاعت مؤسسات الدولة في أتون صراعات السياسيين

ونخرتها أنانياتهم. فاقتنعوا الآن بما أسسه أهل البيت (عليهم السلام) بأمر الله تبارك وتعالى من ضرورة قيمومة شخص يمثل القمة في العلم والنزاهة والاستقامة والصفات الكريمة على السلطة ليوجّه عملها ويقوّم اعوجاجها ويصلح ما فسد من أمورها وهو عين ما نعتقده في من يستحق التصدي لهذا الموقع الشريف من الأنبياء والرسل والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، ومن بعدهم الفقهاء الجامعون لشرائط النيابة عن المعصوم (عليه السلام).

فضح النموذج الوضعي والغربي:

لقد أذعنت تلك الأكاديميات بصحة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في السلطة والحكم وحمّلوا شيعتهم مسؤولية بيان هذه الحقائق وإيصالها إلى العالم كله، فإن البشرية ستؤمن بها إذا وعتها.

وهذه من أعظم المسؤوليات التي يتوجب علينا القيام بها اليوم؛ لأن معركة الحق والباطل على مدى التأريخ تتجلى بوضوح في معركة الحاكمية والقانون الذي يجب أن يحكم في الأرض، فالله تبارك وتعالى يريد لشريعة الحق والعدل أن تسود ويتصدى المصطفون الأخيار لقيادة البشرية، بينما يريد أولياء الشيطان وأتباع الهوى والأطماع، واللاهثون وراء السلطة والجاه والنفوذ أن يستأثروا ويستبدوا، ويتدافع هذان المعسكران عبر التأريخ بلا كلل أو ملل، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في جواب رجل قال له في وقعة صفين: ترجع إلى عراقك ونرجع إلى شامنا، قال (عليه السلام): (لقد عرفتُ إنما عرضتَ هذا نصيحةً وشفقة.. إن الله تبارك وتعالى لم يرضَ من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جهنم) [١].

النهضة الفاطمية امتداد للمواجهة بين الحق والباطل:

---

[١] نهج السعادة: ٢/٢٢٦.

وامتداداً لهذه المواجهة خرجت الصديقة الزهراء (عليها السلام) إلى مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وألقت خطابها على المسلمين وخصمتهم بالحجج الدامغة، والتزاماً بهذا الواجب توجّه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء حيث عبّر عن غرضه في عدة مواضع وأنه ما خرج إلا طلباً للإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصحيح الانحراف وتقويم اعوجاج السلطة، ومن كلماته (عليه السلام) في ذلك: (أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله) [١]. وقال (عليه السلام): (إن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه) ثم قال (عليه السلام): (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام ولكن لنحيي المعالم من دينك ونُظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك. فإنكم إن لا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير) [٢].

فهنيئاً لكم أيها السائرون على النهج الذي اختطته الصديقة الطاهرة (عليها السلام) فقد عرفتم الحق منذ عرفتم الزهراء (عليها السلام) وتمسكتم بها، فحافظوا على هذه النعمة، وكونوا يقظين، ولا تأخذكم غفلة عن معرفة قادتكم الحقيقيين الذي يأخذون بأيديكم إلى الهدى والصلاح ورضا الله تبارك وتعالى **[وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ**

---

[١] مقتل الحسين (عليه السلام) للسيد المقرم: ٢١٨.

[٢] تحف العقول: ١٧٢.

بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ] (الأنبياء:٧٣).

الفصل العاشر:
المرأة تشارك الرجل في أهم قضايا الأمة

المرأة تشارك الرجل في أهم قضايا الأمة [١]

قال المرحوم السيد صالح الحلي:

قد ورثت زينب من أمّها ... كلّ الذي جرى عليها وصارْ

وزادت البنت على أمها ... من دارها تُهدى إلى شرّ دارْ

وقال المرحوم السيد رضا الهندي:

بأبي التي ورثت مصائب أمها ... فغدت تقابلها بصبر أبيها

---

[١] من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع مواكب العزاء التي تجمّعت في النجف الأشرف لتنطلق في مسيرة عزائية مشياً على الأقدام من الكوفة يوم الثلاثاء ١١/رجب/١٤٣٢ المصادف ٢٠١١/٦/١٤ إلى كربلاء المقدسة لإحياء ذكرى وفاة العقيلة زينب (سلام الله عليها) وزيارة النصف من رجب.

لـم تلهـو عـن جمـع العيـال بفـراق إخوتهـا وفقـد بنيهـا وحفظهـــــــــــــــــــــم

الأم والبنت والأدوار المشتركة:

لم ترث العقيلة زينب (سلام الله عليها) سيدة البيت النبوي بعد أمها فاطمة (عليها السلام) سيدة نساء العالمين من أمها مصائب بالمعنى المتعارف بل ورثت مواقف خالدة يعجز أشجع الرجال وأشدهم صلابة عن تحملها.

كانت فاطمة سلوة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) في محنته وسنده الذي يأوي إليه خلال عمر الرسالة: تُؤنسه وتزيل عنه الهموم وتخفّف عنه الآلام وهكذا كانت العقيلة زينب لأبيها أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أمها فاطمة ولأخيها الحسين ولولده السجاد (عليهم السلام).

هُجّرت فاطمة قسراً من مكة مع أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وأرغموها على مفارقة وطنها وأهلها، وهاجرت العقيلة زينب مع أخيها الحسين (عليه السلام) من مدينة جدهم رسول الله (ﷺ) إلى مكة ثم إلى العراق بسبب ظلم يزيد وتعقبه للإمام بالقتل.

شاركت الزهراء (عليها السلام) مع أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) في ميادين الجهاد تضمّد جراح أبيها وتمسح علق الدم عن ذي الفقار، سيف زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) أُحد والأحزاب وكذا العقيلة زينب (عليها السلام) شهدت مع أخيها الحسين (عليه السلام) كربلاء، وما أدراك ما كر بلاء وما تلاها.

وقفت الزهراء (عليها السلام) في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) تدافع عن إمامها أمير المؤمنين (عليه السلام) وتثبّت الحق لأهله، وترد على الافتراءات بالحجج الدامغة، لتصحيح المسيرة وتحمي الدين وأهله من الضلال والانحراف، ووقفت

العقيلة زينب (عليه السلام) في الكوفة والشام وكل مراحل السبي وألقت الخطب الرصينة لتفضح المدّعين لخلافة المسلمين زوراً، الذي لا يتورعون عن ارتكاب أفظع الجرائم وانتهاك أعظم المقدسات ومنها قتل ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

من صور المقارنة:

وصور المقارنة كثيرة، لكن الذي جرى على العقيلة في كل هذه المواقف أمضّ وآالم مما جرى على الزهراء (عليها السلام)، فإن الزهراء (عليها السلام) لم تُسبَ من بلد إلى بلد لتُهدى إلى شر خلق الله تعالى، وكانت حرمتها محفوظة عندما خرجت إلى المسجد، ولم تحرق خيامها وتفرّ في البيداء، وغيرها من المصائب التي صارت أعظم غصة في قلوب أهل البيت (عليهم السلام) وأشدها إيلاماً.

إن موقف الزهراء (عليهم السلام) لم يكن يستطيع أحدٌ أن يؤديه حتى أمير المؤمنين (عليه السلام) لأن خصومه سيقولون عنه أنه شاب مغامر يهوى السلطة والنفوذ على مشايخ قومه فيخلطون الأوراق وتضيع الحقيقة، لكن الزهراء (عليها السلام) كانت فوق أي تهمة أو إشكال، وما ثبت حق أمير المؤمنين وإمامته بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لو لا تلك النهضة الفاطمية المباركة.

وهكذا العقيلة زينب فإن مبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) وأهداف حركته المباركة ما كانت لتعرف وتنتشر لولا خطب العقيلة زينب التي كانت غاية في المتانة والوضوح والحجة البالغة، فإن الإعلام الأموي كان من القوة والتأثير بدرجة تقلب الحقائق تماماً، وقد جعلوا من الحسين (عليه السلام) وأصحابه مجموعة من الخارجين على الدولة المتمردين على النظام المطالبين للشغب والفتنة فاستحقوا القتل، وهكذا تذهب دماؤهم هدراً في الصحراء حيث لا ناقل للحقيقة إلاّ الجيش الأموي الظالم المجرم.

الدفاع عن الإمامة:

إن قضية (الإمامة) والخلافة بعد رسول الله (صلى الله وآله وسلم) وهي أعظم قضايا الإسلام بعد التوحيد، وأخطرها وأمضاها تأثيراً في الأمة تولّت بيانها وإرساء قواعدها، ونفي الزيف عنها امرأتان هما فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين وابنتها زينب عقيلة الهاشميين.

والنتيجة التي نريد أن نصل إليها أن للمرأة دوراً لا يقلّ عن الرجل في التصدي لأخطر قضايا الأمة وأعظم التحديات التي تواجهها جنباً إلى جنب الرجل، ولا تقعد بها همتها لمجرد أنها امرأة، لكن طبعاً مع مراعاة الدور الذي يناسبها، وساحة العمل التي تتحرك فيها.

دور المرأة في الحياة:

والمجتمع يواجه اليوم مشاكل وتحديات كثيرة يكون للمرأة دور مهم في مواجهتها كقضية تبليغ الأحكام الشرعية ونشر تعاليم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الناس أمور دينهم، فإن الجهل قد تفشى وخفيت على الناس خصوصاً النساء أكثر مسائل الحرام والحلال وضوحاً، وفي ذلك مخالفة صريحة لما أراده الله ورسوله والأئمة المعصومون (سلام الله عليهم أجمعين).

إنقاذ الأمة من حالات الطلاق:

وللمرأة دور في إنقاذ المجتمع من مشاكله وعقده الاجتماعية ومنها ظاهرة الطلاق التي ازدادت بشكل مرعب في السنوات الأخيرة، حيث تشير إحصائيات بعض المحاكم إلى بلوغها نسبة ٣٠% أو ٤٠% أي أن ثلث حالات الزواج تقريباً تنتهي إلى الطلاق، وهذه نتيجة مقلقة لأن الله تعالى يبغض الطلاق بقدر حبّه للزواج، وقد جاء في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما بني بناء في الإسلام أحب

إلى الله عز وجل من التزويج)[١] فالطلاق تهديم لأحب بناء إلى الله عز وجل، وآثاره الاجتماعية السيئة على المجتمع وخصوصاً الأطفال مما لا يخفى على أحد.

فلا بد من حركة واسعة يشترك فيها الرجال والنساء ممن يغضبون لغضب الله تبارك وتعالى، ويحبّون ما يحبّه الله تعالى، لإجراء استبيان شامل ومعرفة أسباب تزايد هذه الظاهرة، ومنها ما يعود إلى ما قبل الزواج كعدم حسن الاختيار بسبب عدم ملاحظة العناصر الحقيقية لبناء زوجية صالحة سواء في الرجل حيث ورد الحديث (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[٢] وورد في اختيار الزوجة عن النبي (صلى الله عليه وآله) (ما استفاد امرئ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله).[٣]

أما بناء الزواج على المال الكثير أو الوظيفة الجيدة أو الجمال الظاهري من دون ملاحظة الدين وحسن الخلق والعفاف والمعدن الطيب والأسرة الكريمة فهو أصل المشاكل.

أما القسم الثاني من الأسباب فهو ما حصل بعد الزواج من سوء الاستغلال الرجل لقيمومته على المرأة وتأثره بالتقاليد الاجتماعية من ضرورة التشديد على المرأة إلى حد الظلم. أما من جانب المرأة فقد يكون السبب عدم صبرها على ظروف زوجها وعدم تقديرها لحاله، أو المبالغة في بعض السلبيات أو نقل أخبار بيتها إلى أهلها وتدخلهم في شؤونها، أو اعتدادها بنفسها إلى حد التعالي على زوجها ونحوها من الأسباب.

---

[١] وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب المقدمات، باب١، ح٤.

[٢] وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب المقدمات، باب ٢٨، ح١.

[٣] وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب المقدمات، باب٩، ح١٠.

وعلى أي حال فالقضية خطيرة وتستحق الكثير من الوقت للتأمل والدراسة والتشخيص ووضع الحلول، والسعي والحركة تشارك فيها قطاعات واسعة من الحوزة الدينية والقضاة والباحثين الاجتماعيين والنفسيين والأطباء وغيرهم.

وما أعظم أن يغضب الإنسان لغضب الله تبارك وتعالى ويرضى لرضاه **[فَاستَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُم أنّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنثَى]** (آل عمران:١٩٥).

الفصل الحادي عشر:
الزهراء (عليها السلام) و سبيل توحيد المسلمين

الزهراء (عليها السلام) العارفة بالسر المكنون تدلّنا على سبيل توحيد المسلمين [١]

احياء ذكر سيدة النساء (عليها السلام):

ليس بدعاً من الأمم أن تحتفل أمتنا بذكرى الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، فإنها سنّة عقلائية جارية أن تحتفل الأمم بعظمائها وبناة حضارتها وتشيد بمآثرهم وفاءاً لحقهم واستنهاضاً لهمم الأجيال اللاحقة لكي يسيروا على هداهم ، ولا يتخلف عن هذه السُنة إلا الأمم المتخلّفة المتوحشة لأنها لا حضارة لها ولا تاريخ حتى تهتم به وتجدده.

والزهراء فاطمة (عليها السلام) من القمم الشامخة التي يتضاءل أمامها كل العظماء وتفخر بها البشرية جمعاء ، يكفي أنها من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بنصّ الآية الشريفة **[إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً]** (الأحزاب:٣٣).

وخصّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل البيت بنفسه الشريفة وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) وعندما سألته أم المؤمنين أم مسلمة أن تكون منهم، فقالت:

---

(١) تقرير للحوار الذي أجرته فضائية (العراقية) مع سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وعُرِض بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) يوم ٣/ج٢/٢٨ ١٤ المصادف ٢٠٠٧/٦/١٩.

(يا رسول الله ألست من أهل بيتك؟) ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لا لكنك على خير)[١] لجلالة قدرها وعظم شأنها.

معرفة أهل البيت (عليهم السلام) للحقائق :

ومن خصائص أهل البيت (عليه السلام) المعرفة الكاملة بالحقائق الإلهية التي أودعها الله بارك وتعالى في كتابه الكريم وجعل ألفاظه كالأمثال التي لها تأويل وحقائق قال تعالى: **[وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ]** (العنكبوت:٤٣).

وقد وصف الله تبارك وتعالى هذه الحقائق والمعارف بأنها **[فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ]** (الواقعة:٧٨-٧٩).

فهذه المعارف الإلهية لا يمسّها ولا يصلها ويعرف كنهها إلا المطهرون من الرجس والدنس والدرن وهم من عرفّتهم الآية الشريفة المتقدمة في آهل البيت (عليهم السلام) **[وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً]**.

فكفى بفاطمة شرفاً وعظمة أنها ممن عنتهم الآية وأعطتهم هذه المنزلة الرفيعة ، لذلك لا نستغرب من وجود حديث قدسي عن الله تبارك وتعالى مضمونه (إنني ما خلقت الكون إلا لأجل هذه الأنوار الخمسة) لان الله تبارك وتعالى خلق الكون وما فيه لكي يُعرف ويعبد قال تعالى: **[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ]** (الذاريات:٥٦)، وفسرها الإمام (عليه السلام) بـ(ليعرفوه) ولم يتحقق هذا الهدف كاملاً إلا عند هؤلاء الخمسة، وتحقق بدرجات متفاوتة عند الآخرين من كرام الخلق وعلى رأسهم الأنبياء والرسل ثم العلماء والصالحين وهكذا، لذا ورد في الحديث الشريف إن درجات الخلق في الجنة تتفاوت بحسب معرفتهم فأكمل الخلق أكملهم معرفة وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه أهل بيته.

([١])البحار: ج٢٣ ص١٥٧.

وأُقرّب هذه الفكرة بمثال لدفع الاستغراب ، فمثلا تحتاج الدولة ضمن خطّتها إلى ألف من الأطباء والمهندسين وهي تعلم أن ليس كل من ينتمي إلى المدارس يصل إلى هذه النتيجة فتقبل مئة ألف طالب في الدراسة الابتدائية وباستمرار الدراسة يتناقص العدد حتى يتحقق في النهاية العدد المطلوب فيصّح عندئذٍ أن تقول الدولة أنني ما أسست تلك المدارس وأنفقت تلك الأموال الطائلة إلا من أجل هؤلاء الألف لأنهم حققوا الهدف النهائي.

سر عظمة فاطمة (عليها السلام):

فعظمة فاطمة (عليها السلام) في ذاتها وصفاتها وليس لأنها البنت الوحيدة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بدليل قولها سلام الله عليها في خطبتها على أصحاب أبيها صلوات الله عليه (أيها الناس اعلموا: أني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه واله) إلى أن قالت (فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم) وليس لأنها الزوجة المثالية لأمير المؤمنين (عليه السلام) وليس لأنها أم السبطين الحسن والحسين عليهم الإسلام والأئمة المعصومين وإن كان كل ذلك شرفاً ما بعده شرف.

وهذا يفسّر لنا سر اهتمام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بفاطمة والإشادة بفضائلها على المنبر وأمام الملأ لأجل هذا الكمال المتجسد فيها وليس لأنها ابنته فقط.

وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الوسيلة:

والاحتفال بذكرى الزهراء (عليها السلام) سبب لنزول البركات ونيل الألطاف الإلهية امتثالاً لقوله تعالى: **[وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الوسيلة]** (المائدة:٣٥)، ومن أعظم من الزهراء وسيلة وهي التي (يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها) حسب ما نصّ عليه الحديث الشريف حتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقصد فاطمة كما في حديث الكساء المعروف الذي يُروى عن الزهراء (عليها السلام) حين اشتكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ضعفاً

في بدنه فقصدها وطلب أن تغطيه بالكساء اليماني إلى آخر الحديث الشريف.

وما أحوجنا اليوم للتوسل إلى الله تبارك وتعالى بأحب الخلق إليه ليكشف ما بنا من ضرّ ومحن ولا كاشف له إلا هو تبارك وتعالى.

دروس من حياتها (عليها السلام):

وسأكتفي هنا بالإشارة إلى درسين نأخذهما من معين الزهراء الذي لا ينضب لمعالجة ما نعانيه من مشاكل:

الأول: يتعرض الإسلام لحملة تشويه واسعة من أعدائه مستغلين بعض الممارسات الشائنة لمنتحلي اسم الإسلام فخلطوا الأوراق على الناس ليضّلوهم ويبعدوهم عن الإسلام ويكون الرد عليهم في بعض أشكاله[1] ببيان الصورة الناصعة للإسلام التي جسدها المصطفون الأخيار وببيان فلسفة أحكام الإسلام وأسرار تشريعاته ليتميز الخبيث من الطيب، وقد أشارت الزهراء (عليها السلام) في خطبتها في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مفاتيح هذه الأسرار ، ومما قالت (عليها السلام) (فجعل الله الإيمان: تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة: تنزيها لكم عن الكبر ، والزكاة: تزكية للنفس ونماء في الرزق ، والصيام: تثبيتاً للإخلاص).

ثم عدّدت الكثير من أحكام الإسلام وتشريعاته واعتقد إننا لو استطعنا تقديم نموذج الزهراء (عليها السلام) في مسلسل تلفزيوني أو فيلم يعرض سيرة الزهراء لتأثر بها ليس فقط نساء العالمين بل الرجال أيضاً ولاعترف الجميع بأنها سيدة نساء العالمين حقاً.

---

(1) ذكرنا في بيان مستقل الأسباب التي تدفع الغرب إلى شن هذه الحملة المسعورة للإساءة إلى شخص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشرنا إلى الخطوات العملية المتكاملة للرد عليهم.

الثـاني: إن دعـوات –لا أتهـم إخلاصـها وصـدق نواياهـا- انطلقت في العالم الإسلامي منذ ثلاثينيات القرن الماضي تدعوا إلى توحيد المسلمين ونبذ الخلاف وأسسوا في الأربعينات داراً للتقريب بين المذاهب الإسلامية سعت بمقدار ما تتيسر له لتحقيق هذا الهدف السامي ولا زالت المساعي مستمرة، ولكن يؤسفني أن أقول أنها لم تحقق الثمرة المنشودة وأحياناً يحصل العكس فحينما تثار نقاط الخلاف من أجل تسويتها وردم الهوة بينها يتم التركيز على هذا الخلاف وتفشل الحلول في التقريب بينها حتى صرنا نرجو أحياناً أن لا تنعقد مثل هذه اللقاءات والندوات والمؤتمرات حتى لا نستثير كوامن الاختلاف.

خطوات في سبيل الوحدة:

وتعلّمنا الزهراء (سلام الله عليها) العلاج الصحيح للفرقة بين المسلمين والسبيل إلى لم شملهم وتوحيد كلمتهم كما أراد الله تعالى لهم ذلك ، قال تبارك وتعالى: **[وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ]** (آل عمران:١٠٣)، فقالت سلام الله عليها (فجعل الله طاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً للفرقة) فالوحدة والاجتماع يتحقق بالرجوع إلى مصادر الإسلام الأصلية كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الثابتة عنه غير المكذوبة عليه والمأخوذة عن طريق الثقات من أهل بيته وأصحابه النجباء.

كنت قبل أيام في اتصال هاتفي مطول مع أحد علماء فلسطين[١] من المهتمين بالتقريب بين المسلمين وتوحيد كلمتهم حتى يتمكنوا من إعزاز دينهم ودحر الأعداء المتكالبين عليه وناقشنا ما تقدم من عدم تحقق الثمرة من مؤتمرات التقريب وقلت له أن على إخواننا أبناء أهل السنة أن يتخذوا خطوتين على الطريق الصحيح:

---

(١) هو الشيخ محمود عبد العزيز جودة المقيم في غزة.

الأولى: فتح باب الاجتهاد لاستخراج الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية وهي الكتاب والسنة الشريفة لأنهما المصدران للتشريع أما كلمات الفقهاء فمع إجلالنا إلا أنها تمثل فهمهم وما بلغه نظرهم في الدليل الشرعي وان الأدوات المتوفرة لدى الأجيال اللاحقة أعظم من السابقين تبعاً لتطور العلوم وتعميقها ثم أن الحوادث متجددة ومتنوعة وان كثيراً منها لم يتعرض لها السلف الصالح.

فالانغلاق على مذاهب عمرها أزيد من ألف عام يجمّد الفكر ويفتح الباب واسعاً أمام كل من يشتهي أن يطبق ما يشاء من الفتاوى والنصوص على الحادثة المعينة ليحقق مبتغاه لذا نرى التضارب والتشتت وعدم الانضباط في إصدار الفتاوى التي لا تتورع عن سفك الدم الحرام فلابد من ضبط الحالة وفق مقاييس علمية دقيقة ومؤهلات وهذا ما يتوفر لدى مراجع شيعة أهل البيت (عليهم السلام) حيث لا يحق لأحد إصدار الفتوى إلا بعد بلوغه هذه المرتبة العلمية السامية ونضج علمي وعملي لا يتيسر إلا للأفذاذ.

الثاني: عدم تسييس الدين وامتناع الفقهاء من السير في ركاب السلطة وإضفاء الشرعية على تصرفاتها المبنية على المصالح الدنيوية الضيقة وهي متقاطعة بين متسلط وآخر مما يولد نفوراً من الدين وتعارضاً بين مواقف العلماء وتصل إلى التشاجر والقتال، ولو تسامى الفقهاء عن حب الدنيا وعملوا مخلصين لله تبارك وتعالى وتكون علاقتهم بالحكام من أجل التوجيه والإرشاد والموعظة وتصحيح المسيرة وإصلاح الخط والفساد وتقديم المشورة وهذا الشرط أساسي في مراجع الشيعة وسموه (بالعدالة) .

ولتحقيق هاتين الخطوتين يتطلب الأمر إجراء تعديلات في مناهج دراسة العلوم الدينية لتنتج مجتهدين، وأن تؤسس هذه الحواضن للدراسات الدينية بعيداً عن تدخل السلطات الحاكمة كالحوزات العلمية الشيعية المستقلة عبر أكثر من ألف عام عن

تدخل الحكومات، و آمل أن يمنّ الله تبارك وتعالى على بغداد الحبيبة بالأمن والاستقرار والاستقلال والحرية لتكون هي الحاضنة لهذا الصرح العلمي العظيم كما كانت في عصورها المزدهرة، فقد كانت للشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي كما كانت لأبي حنيفة والشيباني والغزالي والكيلاني.

وكان طلاب العلم في كل من المدرستين يأخذ علوم المدرسة الأخرى وقد يكون بارعاً فيها فلا يعرف انتماؤه لأي منهما وألّف الشيخ الطوسي كتاب الخلاف الذي يستعرض فيه أراء علماء المسلمين من جميع المذاهب ويذكر أدلتهم ثم يختار ما هو الصحيح.

وحينئذ سيجد الباحث (كما وجدت أنا من خلال البحث الذي القيه في الحوزة العلمية في النجف الأشرف واخترت له المسائل الخلافية) أن المصدر واحد وان كثيراً من الأحاديث التي نستند إليها متطابقة بحيث لا تشعر عندئذ بوجود فرق وإنما هو بحث علمي مستند إلى أدلة معتمدة وتستغرب حينئذ من هذا التباعد والاختلاف بين طوائف المسلمين.

الفصل الثاني عشر:
الشعائر الفاطمية

سنّ زيارة مخصوصة إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام
في ذكرى وفاة الصديقة الزهراء (عليها السلام)[١]

(١) صدر البيان بتاريخ ٢٢/ربيع ١٤٢٧/٢ المصادف ٢٠٠٦/٥/٢٠.

للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) فضل كبير على الأمة؛ لأنها دافعت بقوة وبشجاعة عن المسار الصحيح لحركة الإسلام ووقفت في وجه الانحراف ولولا ذلك الموقف العظيم لما بقي رسم للنهج المحمدي الأصيل ولعبثت به أيدي التزوير والحقد والحسد.

وخلدت ذاك الموقف بمظلوميتها وتشييعها ودفنها سراً وإعفاء موضع قبرها ليبقى هذا التساؤل المؤلم شاخصا في أذهان الأجيال:

ولأي الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويُعفى ثراها؟

وهي التي ورد فيها ما ورد من الثناء والتبجيل والتقديس والتطهير والتفضيل في كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولذا كانت الزهراء سببا لهداية الأجيال واستبصارهم وفيئهم لنور الحق وقد ألفّ احدهم كتاب (بنور فاطمة اهتديت)[١].

وبمقدار احتفالنا بالصديقة الطاهرة (سلام الله عليها) واستعادة مظلوميتها واستذكار مواقفها المشرفة فإننا نساهم في حفظ مسار الأمة من الانحراف.

لذا ينبغي لمحبي فاطمة والمفجوعين بمصابها و الراجين شفاعتها حيث تلتقط شيعتها ومحبيها يوم المحشر كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء – بحسب منطوق الرواية الشريفة – أن يتهيأوا ويتعبأوا لإقامة سنة شريفة مباركة ينطبق عليها الحديث الشريف (من سن سنة حسنة كان فله أجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة)[٢] وهي زيارة أمير المؤمنين في ذكرى استشهادها على

---

(١) الكتاب للمحامي السوداني عبد المنعم حسن.

(٢) الكافي: ج٥ ص٩.

الرواية الثالثة المعمول بها لدى المحققين وهي في الثالث من جمادى الثانية من كل سنة، والذي يصادف هذا العام يوم الخميس ٢٠٠٦/٦/٢٩ ملتفتين إلى ما يلي:

١- إن زيارة أمير المؤمنين من المستحبات الأكيدة في كل زمان وعلى كل حال، فالدعوة إليها والالتزام بها شيء محمود عند الله تبارك وتعالى.

٢-إن سلفنا الصالح قد سنوا مثل هذه الزيارة قبل ثمانين عاما تقريبا في يوم وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باعتبار أن أمير المؤمنين هو المعزى بوفاة حبيبه وابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالرغم من أنها لم تنل الاهتمام الكافي فيما سبق إلا أنها في السنين المتأخرة أصبحت تحظى باهتمام كبير وحشود مليونية، فأصبحت مشروعاً معطاءً أو صدقة جارية لأولئك الذين سنوها وأقاموها، فليبادر أبناء هذا الجيل لإقامة هذه السنة الشريفة لتكون لهم صدقة جارية عبر الأجيال، والمناسبتان مشتركتان في المعنى فقد عظم على أمير المؤمنين (عليه السلام) مصابه بفاطمة (عليها السلام) لأنها كانت سلوته عن مصابه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٣-إن لأمير المؤمنين (عليه السلام) مواسم زيارة موزعة على أرباع السنة ففي الربع الأول في ذكرى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي الربع الثالث في المبعث النبوي الشريف وذكرى استشهاده (عليه السلام) وفي الربع الرابع بمناسبة عيد الغدير ويخلو الربع الثاني منها فتكون هذه المناسبة فرصة لاستمرار التواصل مع أمير المؤمنين (عليه السلام).

٤-إن هذه المناسبة لو نظمت بشكل جيد وخرج الزائرون بموكب مهيب ويتقدمهم نعش رمزي للزهراء (عليها السلام) يحمله السادة العلويون خصوصا المرتدون للزي الديني فسيكون حقيقة ثورة في وجه الظلم والانحراف واستعادة لكل تلك التساؤلات التي

تركتها الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) حجة على الأمة.

٥-إننا بهذه الفعالية الشريفة ندخل السرور على قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الطاهرين وخصوصاً بقية الله الأعظم (أرواحنا له الفداء) وإحياء أمرهم وإدامة ذكرهم (رحم الله عبداً أحيا أمرنا)[١].

٦-إننا جربنا تأسيس مثل هذه السنّة الشريفة في موسم الحج فقد أوصيت إخواني حينما ذهبت إلى موسم الحج عام ١٤٢٤ أن ترتفع أصواتهم بالدعاء لصاحب الأمر الإمام المهدي المنتظر بمجرد أن يسمعوا احدهم يقرأ بصوت مرتفع (اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن...) أثناء الطواف ليلفتوا أنظار كل المسلمين إلى إمامهم الحق، وقد قاموا بهذا العمل المبارك جزاهم الله خيرا فكانت أصوات الموالين للعترة الطاهرة من حجاج مختلف الدول تتجاوب معنا أثناء السيل الهادر من الطائفين حول الكعبة الشريفة واتسعت هذه السُنّة المباركة هذا الموسم (١٤٢٦) لتبلغ مدىً عظيما اقلق الحاسدين فأصابهم الذهول، لكنهم لم يكونوا يستطيعوا فعل شيء لهذا الموج الهائل، كما أن هذه الأصوات المباركة دعت المسلمين من كافة أرجاء الأرض إلى السؤال والتحقيق عن المقصود بالدعاء فوسَّعَ دائرة الإعلام بقضية الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا له الفداء).

٧- إن الأمة مقصرة بحق الصديقة الطاهرة ولا يرتقي مستوى اهتمامها بالمناسبة إلى المقام الأقدس لسيدة نساء العالمين وها هي مناسبتها تمر بفعاليات ضعيفة ومن دون اهتمام أكثر الناس فلا بد من تحريك ضمير الأمة بحركة قوية.

٨-انّا نعيش ببركة الزهراء ونأمل شفاعة الزهراء ويدفع الله عنا الكثير من البلاء بإقامة شعائر الزهراء وهو مجرب تأريخياً،

---

(١) معاني الأخبار: ص١٨٠.

فلنعمل على استنزال بركة أكثر ورحمة أوسع ولنسأل الله تعالى أن يرفع عنا البلاء بالإحياء الواسع الفاعل لمناسبة الصديقة الكبرى (سلام الله عليها).

وسيكون من المناسب للخطباء والمبلغين والمثقفين أن يستثمروا الذكرى الثانية الآتية لوفاة السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) في (١٣-١٥/جمادى الأولى) لتعبئة الأمة ووضع برامج السفرة والموكب الكبير، وأن تعلن المؤسسات الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية استعدادها للمشاركة و المواظبة على إقامة هذه السنة الشريفة وتقديم ما يليق بها من أشكال الدعم والمشاركة**[وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ]**.

إحياء ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء [١]

لقد وصف الله تبارك وتعالى يوم بدر بأنه يوم الفرقان لأنه الفيصل بين الحق والباطل على صعيد التنزيل وكان يوم فاطمة الزهراء يوم الفرقان على صعيد التأويل حيث أوضحت معالم الجماعتين ونحن نروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (أنا قاتلت على التنزيل وستقاتل أنت على التأويل) لان الحق على مستوى التنزيل أصبح واضحاً على يد رسول الله صلى الله عليه واله) وإنما دخلت الشبهة والتضليل والانحراف على مستوى

---

(١) من حديث سماحة الشيخ مع هيئة الفرقان في مدينة ببغداد يوم ٢٢/ربيع الثاني/١٤٢٨ الموافق ٢٠٠٧/٥/١٠ ونشر في العدد (٥٦) من صحيفة الصادقين.

التأويل أي داخل هذا الحق، قال تعالى: **[فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ]** (الجاثية:١٧).

لنبدأ من الشعائر الفاطمية:

ولترسيخ هذا الحق في حياة الأمة لا بد من الاهتمام بقضية فاطمة الزهراء وإحياء شعائرها بالمقدار الذي ييسره الله تبارك وتعالى. لقد كانت المناسبة التي أحياها المؤمنون في العام الماضي في النجف الأشرف ناجحة بكل المقاييس ولكن هذا لا يكفي لتثبيت هذه الشعيرة المقدسة في أذهان الأمة لطول الغفلة عنها ولعدم الشعور بأهميتها حتى تتحول إلى مصاف الشعائر الكبرى لشيعة أهل البيت فلا بد من بذل أقصى الجهود لتحقيق هذه النتائج بإذن الله تعالى ولتثبيت هذه السُنة الشريفة وينال المؤسسون لها فضيلة الحديث الشريف (من سنَ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة). ولأجل إعطاء زخم للمناسبة وإيجاد فرصة لأبناء المحافظات لإحيائها في مدنهم والاستعداد للذكرى الأخيرة فنحن ندعوهم إلى استغلال مناسبة الاستشهاد القريبة (١٣-١٥ جمادى الأولى) لإقامة الشعائر في مدنهم بشتى أنواع الفعاليات وليتذكر أحبتي المؤمنون إن المناسبة هي ذكرى استشهاد ومصيبة وعزاء فليكثروا من مظاهرها وليشارك الشعراء بقصائدهم وأهازيجهم والمواكب بطرقهم العزائية المعروفة فقد رأيت أكثر المشاركين في العام الماضي وكأنهم في مسيرة أو مظاهرة لهدف سياسي ونحوه والأمر مختلف خصوصاً في ذكرى استشهاد الصديقة الطاهرة المظلومة صرخة الحق المدَوية فاطمة الزهراء (سلام الله عليها).

إحياء المناسبات الفاطمية لا يقتصر على ذكر المظلومية:

أيها الأحبة: إننا نركز في إحيائنا لقضية الزهراء (عليها السلام) على جانب المظلومية، وهي لعمري صفحة مهمة في حياتها لأنها تلقي الضوء على كثير من قضايا الأمة وتميز الحق والباطل

وتؤسس للمعتقدات الحقة والمسار الصحيح الموصل إلى رضا الله تبارك وتعالى وقد اهتدى من خلالها خلق كثير، لكن الاقتصار عليها يحرم الأمة من الصفحات الأخرى من حياة الزهراء (عليها السلام) التي هي بحق مدرسة لكل الناس، وسفر خالد تنهل منه الأجيال، فلا تحرموا أنفسكم من الاستفادة من هذه المدرسة المباركة بإذن الله تعالى وبفضله وبرحمته.

فاطمة الزهراء: ميزان الحق [١]

علو قدر السيدة فاطمة (عليها السلام):

لا يعرف قدر فاطمة إلا خالقها حين جعلها من أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وإلا أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصادق الأمين الذي قال فيه الله تبارك وتعالى: **[وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحيٌ يُوحَى]** (النجم:٣-٤) **[وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ]** (الحاقة: ٤٤-٤٦) الذي قال فيها (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها)[٢] وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) مخاطباً إياها

---

(١) نص الخطاب الذي ألقاه سماحة الشيخ اليعقوبي على الآلاف من عشّاق الزهراء الذين تجمّعوا من مختلف المدن العراقية في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف ليقيموا العزاء الفاطمي في ذكرى شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم الخميس ٣/جمادى الثانية/١٤٢٧ المصادف ٢٩ / ٦ / ٢٠٠٦ ، تلبية للدعوة التي أطلقها سماحته بسن زيارة مخصوصة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكرى استشهاد السيدة الزهراء (عليها السلام).

(٢) البحار: ج٢٣ ص٢٣٤.

(إن الله يغضب لغضبكِ ويرضى لرضاك)[١] ، فهي ميزان الحق وبها يُعرف طريق الهدى ويُنال رضا الله تبارك وتعالى، فلا يصل إلى الهدف المنشود من لم يوالي فاطمة ويسير على نهج فاطمة ويجعل فاطمة معياراً لتمييز الحق من الباطل، وهكذا أرادها الله تعالى ورسوله الكريم أن تكون للأمة حتى لا تضلّ وتشتتها الأهواء.

موقف الأمة:

لكن الأمة الغافلة الطائعة لهواها المستسلمة إلى أمراضها النفسية وعُقَدِها الاجتماعية أعرضت عن هذا كله، ولم تصغِ إلى موعظة الزهراء وتذكيرها وإنذارها لهم بين يدي عذاب شديد (فنعم الحكَم الله والزعيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقرٌ وسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) وقالت (عليها السلام) (ويحكم أفمن يهدي إلى الحق أحقُّ أن يُتّبع أمن لا يهدِّي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون؟! أمَا لعمري لقد لُقِحتْ، فَنَظِرَةٌ ريثما تُنتج[٢]، ثم احتلبوا ملء القُعب دماً عبيطاً[٣]وذعافاً مبيداً[٤]، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غبَّ[٥]ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم نفساً[١]، وطامنوا للفتنة

---

(١)البحار: ج٢٣ ص٢٣٤.

(٢) لقحت الفتنة إذا استثيرت، تشبيهاً بتلقيح الدابة، وتنتج: تلد، والنظِرة: المهلة، أي انتظروا حتى تلد الفتنة قصدت بها (عليها السلام) ما ينتظر هذه الأمة من ويلات بسبب الفتنة التي حصلت يومها.

(٣)القعب: إناء ضخم، والدم العبيط: الطري.

(٤)الذعاف: السم السريع الإفناء، والمبيد المهلك.

(٥) الغب: العاقبة أو الجزاء.

جأشاً[٢]، وأبشروا بسيفٍ صارم، وسطوة معتدٍ غاشم، وبِهَرَجٍ[٣] شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً فيا حسرتا لكم! وأنّى بكم وقد عميت عليكم[٤] أنلزمكموها وأنتم لها كارهون؟)[٥].

فصدقَ عليهم قول رب العزة والجلال **[وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ]** (آل عمران: ١٤٤).

بل عدَتِ الأمة على دارها التي شرّفها الله تبارك وتعالى وأغلق جميع الأبواب الشارعة إلى مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا بابها، ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدخل إلى هذه الباب إلا بعد الاستئذان إعلاء لشأنها، فأحرقوا الباب وضربوا سيدة نساء العالمين وأسقطوا جنينها واغتصبوا إرثها من أبيها، ونكثوا بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فخرجت مطالبة بحقها مدافعةً عن إمامها وقائدها الحق فاضحة للأئمة المتقدسين الذين خدعوا الأمة بمعايير زائفة، وخلّفوا وراء ظهورهم ميزان

---

(١)طابت نفسه عن الشيء: أي نسيه ولم يفكر فيه، إشارة إلى أنكم ستخسرون أنفسكم وهو تعبير للسخرية منهم ولتهويل خسارتهم.

(٢) هذا هو الموجود في المصدر الذي بين يدي، والأصل ربما (وطامنوا للفتنة جأشاً) يعرف ذلك من خبر اللغة وهو كلام سائر في كلام العرب وطامن القِدر وطأمنه أي سكّنه والجأش: القلب أو النفس من الاضطراب والروعان، وسبيل هذا التعبير من التشبيه سبيل سابقه من التهويل والاستهزاء نظير قوله تعالى: [**فبَشّرهُمْ بعَذَابٍ أَلِيمٍ**] .

(٣) الهرج: الفوضى أو الفتنة.

(٤) أنى لكم: من أين لكم الهداية، أو: أين تذهبون وتتيهون مثل قوله تعالى: [**فَأَنّى يُؤفَكُونَ**].

(٥)الاحتجاج: ج١ ص١٣٤.

الحق: فاطمة الزهراء مظهر الرضا والغضب الإلهي بنصّ الأحاديث النبوية الشريفة المتقدمة.

كيف بينت الزهراء (عليها السلام) مظلوميتها؟

ولم تسكت الزهراء عن الظالمين والمنحرفين والفاسدين والمتاجرين بالدين والمتسلطين على رقاب الأمة بغير حق، وخلّدت هذه الثورة بتساؤلات تدفع كل باحث عن الحقيقة إلى التحقيق والتمحيص حتى يهتدي بنور فاطمة، لماذا تغادر فاطمة الدنيا وهي ابنة ثمانية عشر عاماً في عمر الزهور؟

ولماذا تدفن سراً في الليل ولا يحضر دفنها كل أصحاب أبيها عدا عدد الأصابع ممن اختارتهم هي وأمير المؤمنين! ولماذا يُعفى موضع قبرها؟

أي جريمة ارتكبتها الأمة في حقها وحق أبيها حتى حُرِموا من هذه النعمة؟ وهل يمكن أن يكون جزاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وديعته هذا الصنيع وهو القائل لأمته بنصّ القرآن الكريم) **[قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى]** (الشورى٢٣).

معنى احتفالنا بشهادة الصديقة فاطمة (عليها السلام):

إن احتفالنا بذكرى استشهاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ليس إثارةً لتأريخٍ مضى وأصبح إرشيفاً، وإنما يعني الاهتداء لطريق الحق الذي رسمته ورضيت عنه صلوات الله عليها ما دام رضاها علامة على رضا الله تبارك وتعالى ورفضها دليلا على غضبه سبحانه.

ويعني العودة إلى التوحيد الخالص والتحرر من عبودية الذات والأطماع والهوى والأنانية والمصالح وطاعة الطواغيت وتقديس السلف وغيرها من الأصنام التي تغلّ العقل والقلب عن الانفتاح على الحرية الحقيقية.

ويعني رفض الظلم والفساد والانحراف والتسلط على رقاب الأمة بغير حق.

ويعني الوحدة الحقيقية للأمة تحت راية القيادة الحقّة حيث قالت عليها السلام (وجعل الله طاعتنا نظاماً للملّة وإمامتنا أماناً من الفرقة)[١].

ألا ترون إلى هذه البشرية الضالة التائهة التي مزّقتها الحروب وتفشّى فيها القتل، ونحن في العراق نفقد يوميا العشرات من الأبرياء ولم تنفع ألف مصالحة وطنية ومؤتمر للوفاق وآخر للحوار ومؤتمرات للوحدة وغيرها من الأسماء والمسميات الخاوية لأنها غير مبتنية على أساس صحيح؟ ولأنها لا تصدر عن نوايا صادقة ولا تراعي المبادئ الإنسانية العليا، وإنما تُقَنن لترعى المصالح الشخصية والفئوية وترسخ الأنانيات وتحكّم شريعة الغاب حيث لا مكان إلا للعنف والعدوان والظلم.

السنة المباركة:

يا أحباب الزهراء: إنكم بفعاليتكم المباركة هذه تسنّون للأجيال القادمة شعيرة مقدسة نحيي فيها كل معاني الحركة الرسالية لفاطمة الزهراء (عليها السلام)، ونجدد قضية الزهراء لنعرضها للعالم، فقد آن الأوان إلى أن تُنصِف الأمة فاطمة الزهراء، وكفى الإهمال والتضييع لأكثر من ألف وأربعمائة عام، فاصبروا وصابروا وجاهدوا لترسيخ هذه السُنة الشريفة فإن الإمام الصادق (عليه السلام) عدّها من أقسام الجهاد قال (عليه السلام) (وأما الجهاد الذي هو سنّة فكل سنّة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال لأنها إحياء سنة وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من سنّ

---

(١) الاحتجاج: ج ١ ص١٣٤.

سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء)[١].

فلنبدأ من اليوم عملاً دؤوباً مستفيدين من كل وسائل الاتصال والإعلام والتبليغ لنعرّف البشرية جميعاً طريق الحق الذي رسمته فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وستلقون من الله تبارك وتعالى تأييداً ونصرةً وقبولاً، فإنكم ترون العالم اليوم مقبلاً على تعاليم أهل البيت السامية وقد فتح أعينه على إسلام جديد غير الصورة البشعة التي سنّها من ظلمَ الزهراء (عليها السلام) وغصَبها حقها وسار على نهجه من هم على شاكلته إلى اليوم .

ففرص الهداية إلى طريق الحق اليوم عظيمة فاغتنموها ببركة قضية الزهراء.

وتذكّروا قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليّ (عليه السلام) مرغّباً (وأيمُ الله لَأن يهدي الله على يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت)[٢].

معنى انطلاقتنا من النجف الأشرف:

يا شيعة أمير المؤمنين وكفى بهذا العنوان فخراً وعزّاً، اجتمعنا هذا اليوم هنا في ارض النجف الشريف لنعزّيَ أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي جلس في مثل هذا اليوم على قبر الزهراء يخط التراب بأنامله، وقد فاضت عيناه بالدموع وهو يقول: (السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة بجوارك والسريعة اللحاق بك. قلَّ يا رسول الله عن صَفّيتك صبري، ورقَّ لها تجلدي، إلا أن لي في التأسي بمصيبتك موضع تعزٍ إذ وسّدتك في ملحودة قبرك بيدي وفاضت نفسك بين نحري وصدري.

---

(١) الكافي: ج٥ ص٩.

(٢) الكافي: ج٥ ص٢٨.

بلى، وفي كتاب الله لي أنعُم القبول. إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة واختُلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء.

يا رسول الله، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمُسهّد، وهمٌّ لا يبرح من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم.

وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأحفّها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليلٍ معتلجٍ بصدرها، لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين. فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، وتهضم حقّها، ويمنع إرثها، ولم يتباعد العهد، ولم يخلُ منك الذكر، وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء، وصلى اللهُ عليك وعليها السلام والرضوان. فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أُقِم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين)[1].

قوموا لنرفع الظلامة:

يا أحباب الزهراء، أيها التوّاقون لشفاعتها والمفجوعون بمصيبتها، قوموا لنرفع الظُلامة عن فاطمة الزهراء وننصرها ونظهر عزّتها وكرامتها ونشيّعها نهاراً جهاراً، ولنرغم أنوف ظالميها وشانئيها، وتوسّلوا إلى الله تعالى بفاطمة الزهراء لقضاء حوائجكم، وأن يكشف البلاء عن هذا البلد الكريم وشعبه الأبيّ، وأقسِموا على الإمام المهدي الموعود (عجّل الله فرجه الشريف) بجدّته فاطمة، فإنه لا تُردُّ لكم حاجة، وأسأل الله تعالى أن لا يضيّع لكم جهداً أو عناء ويدخلكم في شفاعة الزهراء حين تلتقط شيعتها ومحبّيها يوم المحشر كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء ولا يشفعون إلا لمن ارتضى.

([1]) نهج البلاغة: ص٣١٩.

الفصل الثالث عشر:
دروس من العطاء الفاطمي

فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومعنى ليلة القدر [١]

قال الله تبارك وتعالى في فضل وشرف ليلة القدر التي هي أفضل ليالي السنة: **[لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ]** (القدر:٣) والمشهور في فهمها أن العمل فيها يتضاعف برحمة الله تعالى وفضله ليكون خيراً من عمل ألف شهر، وهو معنى صحيح مَنَّ الله تعالى به على عباده ليزيدهم من عطائه كرماً منه، وقد دلت عليه الروايات ففي الكافي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، (قال له بعض أصحابنا: كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر)، ويدلّ عليه وصفها بالمباركة في قوله تعالى: **[إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ]** (الدخان:٣) ومن بركاتها زيادة الأجر على الأعمال عن غيرها من الليالي والأيام.

وهذا المعنى مأخوذ من اسمها؛ لأن القدر –الذي هو بمعنى الشأن العظيم فيقال عالي القدر- متحقق فيها فلها قدر عظيم، كما أنه متحقق في غيرها بدرجات متفاوتة من الفضل في أمكنة وأزمنة متعددة كالصلاة في المساجد الأربعة وعند أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنها بآلاف الصلوات، وفي ليلة الجمعة ويومها وليالي شريفة متعددة تتضاعف الأعمال أيضاً.

وهناك معنى آخر لهذه الليلة مأخوذ من اسمها بالمعنى الآخر وهو القدر بمعنى التقدير أي اتخاذ القرار والبت في الأمر وقد ورد هذا التفسير في الكافي بإسناده عن الإمام الباقر(عليه السلام) في رواية جاء فيها: (يقدّر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل: خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل أو

---

[١] أصل الكلمة تقرير لحديث سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من زوار أمير المؤمنين (عليه السلام) مساء يوم ٢١/رمضان/١٤٣١ ثم أضاف إليها سماحته ليتحدث بها من خلال قناة النعيم الفضائية في رمضان /١٤٣٢ الموافق آب/٢٠١١.

رزق فما قدّر في تلك الليلة وقضي فهو المحتوم ولله عز وجل فيه المشيئة)[١].

ويكون معنى الآية حينئذٍ، أن الله تعالى يقدِّر في ليلة القدر مصائر العباد وأرزاقهم وأمورهم المستقبلية قال تعالى: **[فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ]** ومعنى كونها خيراً من ألف شهر أن العبد قد يحظى بالتفاتة من ربه وينالـه لطف خاص فيقدّر الله تبارك وتعالى له في هذه الليلة أمراً يساوي حياته كلها التي تمتد في المعدل ألف شهر وهي حوالي ٨٣ سنة.

علاقة السيدة الزهراء (عليها السلام) بليلة القدر:

ويكفي دليلاً على عظمة التغييرات التي تحصل للفرد وللبشرية جميعاً في ليلة القدر أن نزول القرآن كان فيها، القرآن الذي قلَبَ حياة البشرية وسما بها من حيوانية الجاهلية إلى قمة التوحيد وفتح آفاقاً واسعة للعلوم والمعارف والحضارات وأرسى أسس الحياة السعيدة، فكانت تلك الليلة خيراً من آلاف الشهور والسنين –لأن الألف لم تذكر للتحديد وإنما للتعبير عن الكثرة - التي قضتها البشرية في ظلمات الجاهلية.

وتبقى الأمة سعيدة ما دامت ملتفتة إلى عظمة ليلة القدر والقرآن الذي نزل فيها وملتزمة به ومستفيدة منه، وإلا فإنه لا يغنيها ما أصابته من عرض الدنيا وحطامها.

وبهذا المعنى كان من ألقاب الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أنها ليلة القدر؛ لأن موقفها صحّح مسيرة الأمة إلى قيام يوم الساعة، فهذا الانقلاب الإيجابي المضاد الذي أحدثته الزهراء (عليها السلام) بموقفها يعدل عمل الأمة آلاف السنين إلى آخر عمرها فيما لو لم تهتدِ إليه.

([١])الكافي: ج٤ ص١٥٧.

وكان لليلة القدر مكانة في قلب الزهراء (عليها السلام)، فقد روي (أن فاطمة (عليها السلام) كانت لا تدعُ أحداً من أهلها ينام تلك الليلة (ليلة القدر) وتداويهم بقلة الطعام وتتأهب لها من النهار، وتقول: محروم من حُرِمَ خيرها)[١].

وعلى أي حال فإن الاهتمام بليلة القدر والتركيز على إحيائها لا يعني أن الإنسان يتكاسل في أيامه كلها ويتهاون ويفرّغ نفسه في الليالي المحتملة لليلة القدر، فهذا لا يناسب العاملين الراغبين فيما عند الله تبارك وتعالى، ولا أن ييأس إذا لم يشعر أنه قد وفق لإحياء ليلة القدر؛ لأن هذه الليلة وشهر رمضان وغيرها من أبواب اللطف الإلهي فإذا انقضت فإن رب شهر رمضان ورب ليلة القدر باقٍ ورحمته واسعة.

تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة:

إنَّ نفس هذا المعنى الذي شرحنا به الآية ورد في موضوع آخر ففي الرواية (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)[٢] وهو مضافاً إلى معناه المنسبق إلى الذهن وهو أن التفكير والتأمل والفهم هو حقيقة العمل والغاية المنشودة منه لا الحركات الخارجية التي إنما تكتسب قيمتها من محتواها وهو التفكر والتأمل المنتج للخشوع والحب والرغبة والرهبة.

فإن للحديث معنى آخر كالذي ذكرناه عن ليلة القدر وهو أن الإنسان قد يقف ساعة للتفكر والمراجعة والتحقيق في مسيرة حياته وهدفه الذي يريد أن يصل إليه، ونيته في أعماله، والقيادة التي يرجع إليها في أموره، وإذا به يتخذ قراراً يقلب كل مسيرة حياته ويغير وجهتها إلى الهدف الصحيح، فتكون هذه الساعة من

---

[١] بحار الأنوار: ١٠/٩٧.

[٢] غرر الحكم: ٤٨٠٠.

المراجعة والتأمل خيراً من كل ما يؤديه خلال حياته عن غير بصيرة وهدى وكان يظن أنه يحسن صنعاً.

وأوضح مثال على هذه الحالة الحر الرياحي الذي أمضى ستين سنة من عمره بعيداً عن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وإتباع منهجهم، فوقف ساعة يوم عاشوراء وتأمل في حاله وأرجع نفسه واتخذ القرار الشجاع بالانتقال إلى معسكر الحسين (عليه السلام) وتحول من الشقاوة الأبدية إلى السعادة الأبدية، فقد كانت هذه الساعة هي كل حياته وليس تلك السنين الطويلة التي قضاها بعيداً عن الحق.

الزهراء (عليها السلام): الأسوة الحسنة[١]

قدوة المجتمع:

س١: ما الذي يضيفه وجود الزهراء (عليها السلام) على الرسالة الإسلامية في مجتمع يرى الرجل مقدّماً على المرأة في أغلب الأمور؟

سماحة الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سادة الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

بُعث النبي الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) في مجتمع جاهلي مليء بالفواحش والمنكرات وقد أعطينا صورة عن حاله في

---

(١) لقاء قناة الفرقان الفضائية مع سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف) الذي أذاعته ليلة ٣/ج٢/١٤٣٠.

كتاب (الأسوة الحسنة)، ومن تلك المنكرات: احتقار المرأة وامتهانها ووصل بهم الأمر إلى قتلها ودفنها وهي حيّة للتخلص منها، وقد وصف الله تبارك وتعالى مشاعرهم عندما تولد لهم بنت بقوله: **[وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ]** (النحل:٥٩).

وقد عالج الشرع المقدس هذا الظلم بعدة أشكال منها:

١- التأكيد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على حقيقة المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات، والثواب والعقاب، ومنها قوله تعالى: **[فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى]** (آل عمران:١٩٥).

٢- ضرب الأمثلة من نساء فضليات لكي يتأسى بها الرجال والنساء وليعلم الرجال قبل النساء أن المرأة يمكن أن تبلغ مراتب سامية يغبطها عليها الرجال كمريم ابنة عمران وامرأة فرعون، قال تعالى: **[وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ]** (التحريم:١١-١٢) والآية تصرّح أنهما ضُربتا مثلاً لكل الذين آمنوا سواء كانوا من الرجال أو النساء.

٣- التهديد والوعيد لمن يقتل المرأة مادياً بوأدها أو معنوياً بإهانتها وظلمها وسحق شخصيتها قال تعالى: **[وَإِذَا**

الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ] (التكوير:٨-٩) وفي الحديث الشريف عن النساء: (ما أكرمهنّ إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم)[١].

٤- منح الدرجات الرفيعة لمن فرح بكون المولودة بنتاً وأكرم المرأة وأحسن رعايتها، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) بسند عالي الصحة قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة، فقيل: يا رسول الله واثنتين؟ فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة)[٢] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً: (البنات حسنات، والبنون نعمة، والحسنات يثاب عليها، والنعمة يسأل عنها[٣]) وعن الإمام الرضا (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرق منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرّحه الله تعالى)[٤].

٥- جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو أكرم الخلق وسيدهم أبا بنات، ففي رواية صحيحة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله)

---

(١) فقه السنة، الشيخ سيد سابق: ج٢، ص ١٨٥.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب ٤، ح٣.

(٣) المصدر، باب ٥، ح٧.

(٤) المصدر، باب ٧، ح١.

أبا بنات)[١] بل جعل ذريته من بنته الزهراء (عليها السلام) وسماها بالكوثر التي تعني الخير الكثير، قال تعالى: **[إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ]** (الكوثر:١).

وأهم تلك المعالجات ما منَ الله تبارك وتعالى على المسلمين بل جميع الناس بسيدة كريمة هي أكمل الخلق أجمعين بعد أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فهي سيدة العالمين من الرجال والنساء، ولا يتوهم أحد أنها سيدة نساء العالمين، وإنما هي سيدة العالمين جميعاً من الرجال والنساء لكنها من النساء، وأذكر دليلاً واحداً على ذلك، فقد ذكرت الآيتان في الفقرة (٢) أعلاه أن الله تبارك وتعالى جعل مريم ابنة عمران وامرأة فرعون مثلاً وأسوة لجميع الذين آمنوا، ولا شك أن الزهراء (عليها السلام) هي أفضل منهما وأحرى بالتأسي بها.

معنى حب أهل البيت (عليهم السلام):

س٢: يتردد على ألسنة الخطباء وفي بعض الكتب أن الزهراء سميت فاطمة لأنها فُطمت هي ومحبوها من النار، فهل هذا معنى يمكن قبوله وأن مجرد حب فاطمة (عليها السلام) ينجي الشخص من دون عمل؟

سماحة الشيخ: يمكن الجواب على عدة مستويات:-

١- إن هذا المعنى قد ورد في روايات معتبرة وإذا كان الأمر كذلك فعلينا التسليم والقبول لما يصدر عن النبي (صلى الله عليه وآله) وآله المعصومين (عليهم السلام) ولو كان سند الحديث غير معتبر لشككنا في صدوره، ومن الطرق المعتبرة ما رواه محمد بن مسلم قال: (سمعت أبا جعفر

---

(١) المصدر، باب ٤، ح٣.

(عليه السلام) يقول: لفاطمة (عليها السلام) وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل: مؤمن أو كافر فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ فاطمة بين عينيه محباً فتقول: إلهي وسيدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولاني وذريتي من النار ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عز وجل: صدقتِ يا فاطمة إني سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار ووعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفّعك وليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي فمن قرأتِ بين عينيه مؤمناً فخذي بيده وأدخليه الجنة)[1].

٢- إن نقل هذا الحديث لم يقتصر على علماء الشيعة بل نقله علماء السنة أيضاً بطرق متعددة، وقد ذكر منها صاحب كتاب (فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ١٥١/٣) عدة مصادر كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ترجمة غانم بن حميد الشعيري: ٦٧٧٢ بسنده عن ابن عباس وفي ذخائر العقبى وكنز العمال.

٣- لماذا نستكثر على الله تبارك وتعالى، أن يعطي من غير استحقاق إكراماً لأكمل عباده ولتعريف الخلائق بقرب منزلة الزهراء (عليها السلام) منه تبارك وتعالى، والله

([1]) علل الشرائع للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه): ١٤٢/١: العلة التي من أجلها سميت فاطمة فاطمة، ح٦.

تعالى متفضّل منّان يبتدئ بالنعم من غير استحقاق، نَعم المنافي لعدله أن يعاقب من غير ذنب، أما التفضّل بالعطاء من غير استحقاق فهذا مناسب لكرمه.

وأضرب لك مثلاً من عملكم في الفضائيات، فإن لبعضها برامج مسابقات وإعطاء الجوائز للفائزين، وأحياناً تريد إدارة القناة إعطاء الجوائز بأي شكل لغرضٍ ما كالترويج لها أو لمساعدة الناس، فتسأل الشخص سؤالاً ما فلا يجيب فتبسّط له السؤال فلا يجيب، إلى أن تسأله: ما اسمك؟ وهو يعرفه قطعاً فإذا أجاب هللوا له فرحاً واعتبروه فائزاً وأعطوه الجائزة.

٤- إن الحب الوارد في الرواية لا يراد به الميل العاطفي الذي ربما ينشأ من تعصّب لموروث اجتماعي أو تقليد الآباء والأجداد وهذه مناشئ لا قيمة لها، وإنما يراد به الحب المبني على المعرفة والذي تقترن به ملازماته من اتباع سيرة المحبوب وإدخال الرضا عليه، كما قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمرك في الفعال بديعُ
لو كان حبّك صادقاً لأطـعته ... إن المحبَّ لـمن أحبَّ مطيعُ

لماذ حظيت السيدة الزهراء (ع) بهذا الكمال؟

س٣: هل تعد الامتيازات التي حظيت بها الزهراء (عليها السلام) حكراً عليها باعتبارها ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أن من الممكن أن توجد هذه الصفات (الامتيازات) في امرأة أخرى؟

سماحة الشيخ: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يحابي أحداً أو يجامله على حساب الحق، لأنه كما وصفه ربه: **[وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى]** (النجم:٣-٤) وقال تعالى: **[وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ،لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ]** (الحاقة:٤٤-٤٦).

وإن موازين التكريم والتفضيل محددة في كتاب الله تعالى **[إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]** (الحجرات:١٣) أما النسب فلا اثر له بذاته قال تعالى: **[فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ]** (المؤمنون:١٠١-١٠٣).

وقد نزلت سورة كاملة في ذم أبي لهب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فالزهراء (عليها السلام) لم تحظَ بهذه المنزلة الرفيعة لمجرد بنوتها لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنما نالتها بما وصلت إليه من درجات الكمال.

نعم إن كونها بنتاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وفّر لها ظروفاً للتكامل من طيب الولادة إلى الأجواء الصالحة داخل الأسرة إلى حسن التربية إلى الرعاية المباشرة من لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وفي ضوء ذلك فإن فرصة التكامل غير المتناهي متوفرة برحمة الله ولطفه لكل الناس، لكن سبق في علمه تبارك وتعالى أن لا يصل إلى مرتبة الزهراء إلا هي (سلام الله عليها).

علمها (عليها السلام):

س٤: من بين جميع الأمور التي اتصفت بها الزهراء (عليها السلام) هو كثرة نقلها لأحاديث أبيها، في حين يعتقد البعض أن هذا الجانب مغيّب من حياة الصديقة فما رأيكم؟

سماحة الشيخ: هذا صحيح فإن الزهراء (سلام الله عليها) استفادت علماً جمّاً من أبيها (صلى الله عليه وآله) مباشرة ومن خلال استنطاق ولديها الحسنين يومياً عند عودتهما من مسجد جدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما نزل عليه من القرآن وما تحدث به في المسجد، وكانت لديها صحائف تدون فيها تلك الإفادات النبوية الشريفة، ولكن لم يصل إلينا إلا النادر، وبقي هذا المجموع من الصحائف الذي عُرف بـ(مصحف فاطمة) متوارثاً عند أولادها الحجج الميامين (سلام الله عليهم) ويأخذون منه ويحتجّون به، وقد ورد عن الإمام العسكري (عليه السلام): (نحن حجج الله على الناس، وجدتي فاطمة حجة الله علينا) ولكنه أُخفي عن الأمة كما أُخفي قبر الزهراء (عليها السلام) وحرموا من هذه البركات العظيمة.

وممن اطلع عليه الصحابي الجليل عبد الله الأنصاري ورأى فيه أسماء الأئمة الاثني عشر منصوصاً عليهم بالأسماء. ففي رواية معتبرة عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن جابر قال: (دخلت على فاطمة (عليها السلام) وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها فعددتُ اثني عشر آخرهم القائم ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي)[١].

مصحف فاطمة (عليها السلام):

س٥: كثر الأخذ والرد والشبهات على شيء اسمه مصحف فاطمة؟ هل يوجد مثل هذا الكتاب؟ وهل هذا الكتاب موجود في وقتنا الحاضر؟ ما هو هذا الكتاب إن وجد؟ وما هي مضامينه؟

سماحة الشيخ: قد أوضحنا في جواب السؤال السابق معنى مصحف فاطمة وأنه كتاب دوّنت فيه الزهراء (عليها السلام) ما

([١]) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ٣٣، ح٢٠.

استفادته من أبيها (صلى الله عليه وآله) من تفسير الآيات و بيان للأحكام و مواعظ وأخبار ما سيقع في المستقبل و نحوها.

وليس هو مصحفاً أي قرآناً غير هذا الذي في أيدنا والذي تلقيناه جيلاً بعد جيل حتى زمان المعصومين (عليهم السلام) الذين أمرونا أن نقرأ كما يقرأ الناس ونتلوه في صلواتنا ومساجدنا ونطهّر بتلاوته قلوبنا ونفوسنا، وقد استشهدت في كلامي الآن بآيات عديدة فهل وجدت فيها شيئاً غير ما في هذا المصحف الكريم؟ وأما الذي يلقي هذه الشبهات لتمزيق صف المسلمين و **[حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ]** (البقرة: ١٠٩) فليس عليه إلا أن يذهب لأي مسجد أو مكتبة أو دار لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) أو يستمع لمقرئيهم فهل يجد عندهم قرآناً غير هذا المتداول؟

إن اهتمام أئمتنا (عليهم السلام) بالقرآن وصدور مئات الأحاديث عنهم في تعظيمه والحث على تلاوته والتدبر في آياته والعلوم المكنونة فيه وشكواه (القرآن) من هجرانه، وحادثة الإمام العسكري (عليه السلام) الذي وقف بحزم بوجه فيلسوف العرب إسحاق الكندي الذي ألف في متناقضات القرآن حتى مزّق ما كتب.

كل هذا ينفي أي تشكيك في كون هذا القرآن المتداول هو ما أنزله الله تبارك وتعالى على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم).

نعم كانت للصحابة مصاحب فيها اختلاف عما هو موجود كمصحف أم المؤمنين حفصة ومصحف عبد الله بن مسعود الذي حذف المعوذتين اجتهاداً منه بأنهما ليستا سورتين من القرآن وإنما هما تعويذتان نزلتا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليعوّذ بهما الحسنين (عليهما السلام)، ونقل المؤرخون أن الخليفة عثمان أحرق كل تلك المصاحف وأبقى على نسخة واحدة هي المتداولة.

دروس مستقاة من حياة السيدة الزهراء (عليها السلام):

س٦: تعوّدنا منك سماحة الشيخ ومن خلال كتبكم (الأسوة الحسنة) و (دور الأئمة في الحياة الإسلامية) وغيرهما أن تركّزوا على الدروس المستفادة من سيرتهم (صلوات الله عليهم أجمعين) باعتبارهم المثل الأعلى الذي يُتأسّى به ولا تكتفون بالسرد التأريخي لحياة المعصومين فهل يمكنكم الإشارة إلى مثل هذه الدروس من حياة الزهراء (عليها السلام)؟

سماحة الشيخ: تحدثنا في ذلك الكتاب عن أهمية الأسوة الحسنة في أية رسالة إصلاحية ومنها رسالة الإسلام لإقناع الناس بها وإلا ما قيمة أن يعرض الإنسان كلاماً طيباً لكنه يخالفه في العمل، ولذا كان دور أهل البيت (عليهم السلام) عظيماً في تثبيت عقائد الإسلام وأحكامه والحفاظ عليه لأنهم جسّدوا الشريعة على أرض الواقع.

وهكذا كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) أسوة حسنة للعالمين جميعاً من الرجال والنساء، وسيرتها المباركة غنية بالدروس والعبر، وفيها الكثير مما يطلبه التواقون إلى الصعود في مدارج الكمال:

(الأول) فناؤها في ربّها وإخلاصها في طاعته تبارك وتعالى وبلوغها أعلى مراتب المعرفة، لأن منازل الناس تتفاوت في الجنان على قدر معرفتهم بربهم –كما في الحديث الشريف- وقد بلغت أعلى المراتب بعد أبيها وزوجها (صلوات الله عليهما) وكانت تفرّغ لعبادتها الكثير من وقتها، روى الإمام الحسن (عليه السلام) لأخيه الحسين (عليه السلام) قال: (رأيت أمي فاطمة (عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح)[١].

---

(١) علل الشرائع للصدوق (رضوان الله عليه)، ج١/١٨٢، باب ١٤٥، ح١.

ويقول الحسن البصري: (ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تورم قدماها)[١].

ومن كلماتها (سلام الله عليها): (من أصعد إلى الله خالص عبادته أهبط الله عز وجل عليه أفضل مصلحته)[٢].

ومن نتائج هذه المعرفة المتكاملة بالله تعالى الإعراض عما سواه كما وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقين: (عظُم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم)[٣] لذا عاشت فاطمة (عليها السلام) زاهدة في دنياها ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يشجعها على ذلك؛ عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (حدّثتني أسماء بنت عميس قالت: كنت عند فاطمة جدتك إذ دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي عنقها قلادة من ذهب كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) اشتراها لها من فيء له فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يغرّنك الناس أن يقولوا بنت محمد وعليك لباس الجبابرة، فقطّعتها وباعتها واشترت بها رقبة فأعتقتها فسرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)بذلك)[٤].

(الثاني) الالتزام الدقيق بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أبوها، قالت أم المؤمنين عائشة: (ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاّ ً وهدياً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قالت: وكانت إذا دخلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)قام غليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (صلى الله عليه وآله

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٣، الباب ٤، ح٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٧/٢٤٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣ في وصف المتقين.

(٤) بحار الأنوار: ٤٣، باب ٣، ح٢٨.

وسلم) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها)[١].

وكانت (صلوات الله عليها) لا تكتفي بإتيان ما ترغب فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) واجتناب ما يكرهه (صلى الله عليه وآله وسلم) بل إنها تتحرك للامتثال لمجرد علمها برغبته (صلى الله عليه وآله وسلم) وإرادته وإن لم يعبّر عنها، فقد روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قدم من سفر وكان أول ما يأتي إلى دار فاطمة فيسلم عليها وكانت (عليها السلام) قد علّقت ستراً وزينة احتفالاً بقدوم أبيها وزوجها (صلوات الله عليهما) فعرفت في وجهه عدم الرضا فتصدقت بالستر والزينة، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (فعلت فداها أبوها -ثلاث مرات-، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء)[٢].

(الثالث) طاعتها لإمامها وهو زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) ودفاعها عن حقه ونصرته بكامل ما تملك ومواقفها بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خير دليل على ذلك.

(الرابع) علاقتها بأسرتها، فقد جسّدت في علاقتها مع زوجها الحديث الشريف: (جهاد المرأة حسن التبعّل) وبذلت غاية الوسع في خدمة البيت والأسرة وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يذكر لها ذلك، واستشهدته عندما دنت منها الوفاة وقالت له: (يا ابن العم هل عهدتني كاذبة أو خائنة مذ عاشرتني؟ قال (عليه السلام): أنت أبرّ

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ١٥٢/٣، وقد نقله عن صحيح الترمذي وأبي داود ومستدرك الصحيحين.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، باب ٣، ح٧.

وأوفى من أن أوبّخك بكلمة يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولقد عزّ علي فراقك)[١].

وأحسنت تربية أولادها وكانت تبعث الحسنين (عليهما السلام) مع أبيهما أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مسجد جدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتسألهما إذا عادا عن كل ما قال أو فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت تعينهما على طاعة الله تبارك وتعالى، ففي كتاب مفاتيح الجنان[٢] في أعمال ليلة القدر أنها كانت تنيمهما في النهار مقداراً ليقويا على إحياء الليل بالعبادة، وكانت تخاطبهما: يا ولدي ويا قرة عيني، فخلقت أجواء غاية في السعادة والانسجام داخل الدار مع صعوبة الحياة يومئذٍ وشدة الحاجة والمحن التي مرّت على المسلمين في صدر الإسلام.

(الخامس) وضربت أروع الأمثلة في العفة والحياء فقد روي عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: (قال علي (عليه السلام): استأذن أعمى على فاطمة (عليها السلام) فحجبته، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لها: لم حجبتيه وهو لا يراك؟ فقالت (عليها السلام): إن لم يكن يراني فإني أراه وهو يشم الريح، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أشهد أنك بضعة مني).

وبهذا الإسناد قال: (سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه عن المرأة: ما هي؟ قالوا: عورة، قال: فمتى تكون أدنى من ربها؟ فلم يدروا، فلما سمعت فاطمة (عليها السلام) ذلك قالت: أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن فاطمة بضعة مني)[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣ الباب ٧، ح٢٠.

(٢) مفاتيح الجنان: أعمال ليالي القدر: ص٢٦٧.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣، الباب ٤ ح ١٦

وروى علماء الشيعة والسنة أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لها: (أي شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال: ذرية بعضها من بعض)[١].

(السادس) إظهار كرامة المرأة في الإسلام، ومن معالم ذلك كفاية مؤونتها على الرجل، قال الإمام السجاد (عليه السلام) في دعاء مكارم الأخلاق: (واكفني مؤونة الاكتساب، وارزقني من غير احتساب، فلا أشتغل عن عبادتك بالطلب، ولا أحتمل إصر تبعات المكسب) وبهذا الصدد روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه الباقر (عليه السلام) قال: (تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخدمة، فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله بإكفائي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحمل رقاب الرجال)[٢].

(السابع) اعتماد أسلوب الحوار والمحاججة والوسائل السلمية للمطالبة بالحقوق عند من يحترم هذه الأساليب وهذا ما تكشفه خطبها على أصحاب أبيها (صلى الله عليه وآله) المملوءة بالحجج الدامغة المستندة إلى كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله).

(الثامن) تقديم المصلحة العليا وحفظ كيان المسلمين ودولة الإسلام على المصالح الشخصية فعندما غُصبت حقوقها وزوجها (سلام الله عليه) ولم تُجدِ الخطابات عُرضت عليهما النصرة بالخيل والرجال لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) علم أن مراد هؤلاء الفتنة وشق الصف في وقت كانت الأعداء والمرتدّون يتربصون بالمدينة وأهلها لنقض عرى الإسلام بمساعدة المنافقين في داخلها.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣ الباب ٤، ح٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣، الباب ٤، ح١

(التاسع) الإيثار على نفسها، ومن الشواهد على ذلك ما أنزل الله تعالى فيه سورة (هَلْ أَتَى) حيث تصدّقوا (سلام الله عليهم) بطعامهم وبقوا طاوين من الجوع ثلاثة أيام، وما ورد عن الإمام الحسن (عليه السلام) وهو يتحدث لأخيه الحسين (عليه السلام) عن أمهما فاطمة (عليها السلام): (وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار)[١].

وغيرها كثير، ويجب أن نعترف بوجود التقصير الكبير مضافاً إلى القصور في التعريف بالزهراء (عليها السلام) ولو أجريت كشفاً بما كتب عن الزهراء (عليها السلام) للتعريف بها وبسيرتها المباركة والتأسي بها لوجدت أنه مقدار ضئيل، مضافاً إلى التقصير العملي وأعني تجسد حياة الزهراء (عليها السلام) على أرض الواقع.

لكنني متفائل بهذه الصحوة العالمية المباركة تجاه قضية الزهراء ولا شك أنها فتح عظيم وتساهم بدرجة كبيرة في إعادة الحق على نصابه والتمهيد للدولة الكريمة والله ولي التوفيق.

---

(١) المصدر، باب ٤، ح٣.

أسماء السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)[١]

العلاقة بين الاسم والمسمى:

س١: ما العلاقة بين الاسم والمسمى؟، وبتعبير آخر: ما هي المناسبة بين الاسم ومن يحمل الاسم؟

سماحة الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين كثيراً ما تطلق الأسماء على الأشخاص من دون مناسبة كتسمية الشخص (كريم) وهو (بخيل) ويسمّى (خالد) وهو فإن زائل ويسمى (عبد الله) وهو عبد الشيطان وأهواء النفس الأمّارة بالسوء، فمثل هذه التسمية الارتجالية لا علاقة لها بالمسمّى ويكون الاسم مجرد مشير إلى المسمى لكي يعرف به ويشار إليه به.

أما الاسم الحقيقي فهو ما تطابق مع المسمى كما عرّفه أمير المؤمنين (عليه السلام) لأبي الأسود الدؤلي عندما وجهه بوضع علم النحو قال (عليه السلام) (الاسم ما أنبأ عن المسمى) أي ما أخبر عن المسمى، كما أن اسم الكتاب وعنوانه يخبر عن محتوياته قبل أن تقرأه، لذا يتأمل المؤلف كثيراً قبل أن يسمي الكتاب لأنه يختصر الكتاب كله.

تسمية الأبناء:

---

[١] حوارية أجرتها قناة النعيم الفضائية مع سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله الشريف) بمناسبة ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) ليلة الجمعة ٢/ج٢/١٤٣٢ المصادف ٢٠١١/٥/٦.

س٢: هل اهتم الشارع المقدس بقضية تسمية الأبناء.؟

سماحة الشيخ: لاسم الشخص انعكاس مهم على شخصيته ونفسيته وسلوكه، فإن الاسم الجميل يعطي ثقة بالنفس لحامله ويجعله مرفوع الرأس، بعكس من كان اسمه قبيحاً فإن صاحبه يشعر بعقدة الحقارة كما يسميها علماء النفس والاجتماع، ويشعر دائماً بأنه مهان ومنبوذ اجتماعياً وخصوصاً إذا كان الآخرون يسخرون من اسمه، ويدعوه ذلك إلى الانزواء والابتعاد عن الناس أو الانتقام من المجتمع كردة فعل.

وإن الاسم قد يؤثر في صناعة شخصية الإنسان وسلوكه من خلال محاولة الشخص ليكون مطابقاً لاسمه، كشخص يكون اسمه (محمداً) أو (علياً) فيحترم هذا الاسم ويسعى لأن يكون أهلاً لحمله، أو امرأة تسمى فاطمة فتكون أمينة على هذا الاسم، بعكس ما لو كانوا على خلاف صفات صاحب الاسم فإن الآخرين ينتقدونها بأن اسمها فاطمة أو زينب وهي سافرة أو غير متدينة وهكذا، ولعل جزءاً من تكوّن شخصية البطش والعنف والصدام لدى المقبور صدام كانت بدافع من اسمه.

لذا جعل الشارع المقدس من حق الابن على أبيه أن يحسن تسميته فعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال (أول ما يبرُّ الرجل ولده أن يسميه باسم حسن، فليحسن أحدكم اسم ولده) وروى الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) (في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) قال: يا علي حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه ويضعه موضعاً صالحاً)، ويظهر أن تأثير الاسم يمتد إلى يوم القيامة أيضاً، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

(استحسنوا أسماءكم فإنكم تدعون بها يوم القيامة قم يا فلان بن فلان إلى نورك، وقم يا فلان بن فلان لا نور لك).[١]

وكان من عادة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأتوا بالوليد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليسمّيه تبركاً وطلباً لحسن الاسم، وتفاؤلاً لمستقبله أن يكون كما سمّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونذكر في هذه المناسبة أن الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك على الصحيحين روى بسنده عن عبد الرحمن بن عوف قال (كان لا يولد لأحد مولود إلا أُتي به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ الملعون ابن الملعون)[٢] ورويت مثلها عن أئمتنا (عليهم السلام) في مصادرنا.[٣]

س٣: هل يوجد استحباب شرعي لبعض الأسماء حتى يراعيها الآباء في تسمية أبنائهم؟

سماحة الشيخ: أفضل الأسماء هي أسماء النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) لأن معانيها حسنة بل في منتهى الحسن، مضافاً إلى حث أهل البيت (عليهم السلام) على التسمية بها، روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ولد له ثلاثة بنين ولم يسمِّ أحدهم محمد فقد جفاني) وعن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجلس ولا تقبّحوا له وجهاً) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (واعلم أنه ليس في

---

[١] هذه الروايات في وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب٢٢.

[٢] معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (قدس سره): ج١٨ ص١٣٨.

[٣] مجمع البحرين للطريحي، مادة (وزغ).

الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تُقدّس كل يوم)[١] وقال الإمام الحسين (عليه السلام) (لو ولد لي مائة لأحببتُ أن لا اسمي أحداً منهم إلاّ علياً)[٢]، ودخل رجل ولدت له بنت على الإمام الصادق (عليه السلام) فقال (عليه السلام): ما سميتها؟ قال: فاطمة فقال (عليه السلام) (آه آه آه ثم وضع يده على جبهته –إلى أن قال- أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبّها ولا تلعنها ولا تضربها).[٣]

فالتسمية بأسماء أهل البيت (عليهم السلام) تتحقق بها أمور عديدة ففيها طاعة لتوجيهاتهم (عليهم السلام) وبركة لجميع عائلة الوليد، وفيها إحياء لذكرهم (عليهم السلام)، ونشر لوجودهم الشريف وردٌ على أعدائهم الذين حاولوا بشتى الوسائل طمس ذكرهم حتى منعوا من التسمية بعلي، وهذا وجه لما تقدّم من حديث الإمام الحسين (عليه السلام)، مضافاً إلى ما في ذلك من البر بهم والوفاء لهم (عليهم السلام) حتى عُدَّ عدم التسمية جفاءً لهم، مضافاً إلى ذلك فهي أسماء حسنة تبعث الراحة والانشراح والرفعة لمن يتسمى بها.

بعكس أسماء أعداء أهل البيت (عليهم السلام) فإنها مذمومة كمعاوية الذي يعني كلاباً تعاوت وأبوه صخر بن حرب وأمثالها من الأسماء المثيرة للاشمئزاز والكراهية.

أسماء سيدة النساء (عليها السلام):

س٤: نعود إلى صاحبة الذكرى: السيدة فاطمة الزهراء فنسأل: كم عدد أسماء الزهراء (عليها السلام)؟

سماحة الشيخ: إذا قصدنا بالاسم اسم الذات فاسمها (فاطمة) كما ذكرت في خطبتها الشهيرة (أيها الناس: اعلموا أني

---

[١] الرواية وما قبلها في وسائل الشيعة، أبواب أحكام الأولاد، باب٢٤.

[٢] المصدر السابق، باب٢٥.

[٣] المصدر السابق، باب٨٧.

فاطمة وأبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم))، لكن الاسم يراد به هنا ما هو أعم من ذلك فيشمل اللقب كالزهراء (عليها السلام) والكنية كأم أبيها، وبهذا اللحاظ فإن أسماءها عديدة.

وقد اختلفت الروايات في تعدادها، ففي كتب الشيخ الصدوق (رحمه الله) الأمالي وعلل الشرائع والخصال بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل، فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدَّثة، والزهراء)[١]، ثم قال: أتدري أي شيء تفسير فاطمة؟ قلت أخبرني يا سيدي، قال فطمت من الشر)، وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (فمن عرف فاطمة (عليها السلام) حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها)، وروي عن أبي هريرة أنه قال: (إنما سميت فاطمة (عليها السلام)، فاطمة لأن الله فطم من أحبها من النار).

وتوجد روايات تشير إلى عدد أكبر من الأسماء للسيدة الزهراء (عليها السلام) كعشرين أو أكثر حتى تصل إلى تسعة وتسعين اسماً، وهذا واضح لأن الحديث المتقدم لم يتضمن أسماء مشهورة كالكوثر وأم أبيها وغيرها، قال ابن شهراشوب في المناقب (وصحّ في الأخبار: (لفاطمة عشرون اسماً، كل اسم يدل على فضيلة) ذكرها ابن بابويه في كتاب مولد فاطمة (عليها السلام)[٢].

ويمكن فهم هذا الاختلاف في الإعداد باعتبار أن الروايات ليست بصدد حصر كل الأسماء فالحديث الأول يذكر الأسماء التي سماها الله تبارك وتعالى بها، والثاني يعدد الأسماء التي تكشف عن

---

[١] راجع المصادر في الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) ١٨/٣٢٩.

[٢] المصدر السابق: ١٨/٤٣٨.

فضائلها وصفات كمالها، باعتبار أن كل صفة تعبِّر عن فضيلة من فضائلها، وهكذا فهي لا تنفي وجود أسماء أخرى.

وقد تضمنت نصوص زيارتها الكثير من الأسماء، وقد نظم أحد العلماء الأعلام أرجوزة شعرية في أسمائها (عليها السلام) ومما قال:

ألقابها تذكر في الكتابِ	كما أتت في كتب الأصحابِ
معصومة رضية مرضية	صديقة ميمونة زكيّة
ذات صفات من أبيها مورثة	والبعض من ألقابها محدَّثة
والدرة البيضاء والمباركة	سيدة النسا بلا مشاركة
أم أبيها قيل من كُناها	وليُطلَبُ التحقيق في[1]

معاني الأسماء:

س٥: هل في هذه الأسماء إشارة إلى معاني معينة.؟

سماحة الشيخ: هذه الأسماء صدرت من الله تبارك وتعالى ومن رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) أو أطلقها عليها أولادها المعصومون (عليهم السلام) فهي مطابقة للحقيقة، وهي عين الواقع كما في الحديث السابق (لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل)، وهي أما تعبير عن فضيلة تتصف بها –كما في الحديث السابق- أو منقبة حبيت بها، أو تكريم منحت إياه، وكلها تعبّر عن حقائق مقدسة في سيدة العالمين، وشرحت الأحاديث الشريفة معانيها.

فسميت بالطاهرة لأنها من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بنص القرآن الكريم، وسميت بالبتول لانقطاعها إلى عبادة الله تعالى كما في مجمع البيان للطبرسي، أو

---

[1] المصدر السابق: ٣٤٧/١٨ وتوجد منظومة أخرى في٣٥٥/١٨.

لانقطاعها عن نساء زمانها، أو عن نساء الأمة فضلاً وديناً وحسباً وعفافاً كما روي عن الزمخشري.

وسميت الكوثر لأنها الواسطة في تكثير نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبقائه، قال الرازي في تفسير الكوثر في سورة الكوثر (الكوثر أولاده، لأن هذه السورة نزلت رداً على من عابه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان).

وفي الكافي بسنده عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) (إن فاطمة (عليها السلام) صديقة شهيدة)، وعن الإمام الكاظم (عليها السلام) في حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (يا علي إني قد أوصيت فاطمة (عليها السلام) ابنتي بأشياء وأمرتها أن تلقيها إليك فأنفذها، فهي الصادقة الصدوقة).

ومن ألقابها (أم الهناء) لأنها رأس كل هنيئة في الدنيا والآخرة.[١]

ماذا يعني اسم أم أبيها؟

س٦: لفت انتباهي ما ذكرتم في أسماء الزهراء (عليها السلام) (أم أبيها) فماذا يعني هذا الاسم.؟

سماحة الشيخ: هذه الكنية للزهراء (عليها السلام) رواها العامة والخاصة، فمن العامة الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن مصعب بن عبد الله الزبيري وابن الأثير في أسد الغابة، وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين، وابن حجر في الإصابة وفي تهذيب التهذيب وفي كتاب تاريخ مدينة دمشق، وهي أشهر كنى الزهراء (عليها السلام).

---

[١] راجع في مصادر النصوص والكلمات: الموسوعة الكاملة عن فاطمة الزهراء: ١٨/ ٣٢٠-٤٤٢.

وقد كنّاها بذلك أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويمكن أن يكون لهذه الكنية أكثر من منشأ:

١- إن حب فاطمة (عليها السلام) لأبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وشفقتها وحنوها عليه كان كالذي تُغدقه الأم على ولدها، مع الالتفات إلى انه ليس مبنياً على العاطفة المجردة وإنما على المعرفة التامة التي تناسب مقامها المقدس الكامل.

٢- وتأتي الأم بمعنى الأصل كما في قوله تعالى **[وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتابِ لَدَينا]** (الزخرف:٤) يعني في أصل الكتاب أي اللوح المحفوظ، فالزهراء (عليهها السلام) أصل أبيها لأن كل نسله وذريته منها فهي أصل امتداده (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يوم القيامة، وهي أصل امتداد رسالته (صلى الله عليه وآله) إلى يوم الساعة؛ لأنها (عليها السلام) بموقفها وتضحيتها حافظت على خط الإسلام الأصيل وحفظته من الانحراف والتحريف.

٣- وتطلق الأم على خالصة الشيء وعصارته ومجمع محتوياته كما تسمى منطقة الدماغ من الإنسان (أم الرأس) فيقال ضربه على أم رأسه، وكما تسمى مكة أم القرى وتسمى سورة الحمد أم الكتاب لأنها اشتملت على ما في القرآن الكريم من المبادئ العامة، فالزهراء (عليها السلام) أم أبيها بهذا المعنى لأنها جمعت الخصال الكريمة لأبيها، واعترف لها بذلك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمهات المؤمنين، قالت عائشة (ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولا هدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة).[١]

٤- ويمكن أن يكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كنّاها بذلك ليقطع الطريق على من تشعر من أزواجه بأن لها شرفاً

---

[١] راجع المصادر من العامة: كتاب: السيدة فاطمة الزهراء: دراسة تاريخية: ٥٢١.

وتفضيلاً على فاطمة (عليها السلام) باعتبار أنهن أمهات المؤمنين بنص قوله تعالى: **[النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ]** (الأحزاب/٦).

فكنى فاطمة أم أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتتقدم على أزواجه.

كما أنه (صلى الله عليه وآله) لمّا آخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة لم يجعل لعلي (عليه السلام) أخاً كالآخرين ولما سأله أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (صلى الله عليه وآله): (ادخرتُك لنفسي)[١] وآخاه.

الدروس العملية:

س٧: هل من دروس عملية تتضمنها الأسماء المباركة؟

سماحة الشيخ: قال تعالى: **[وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]** (النحل:٦٠)، فالمثل الأعلى الذي يكون الوصول إليه هو الهدف والغاية هو الله تبارك وتعالى، ولذا ورد في الحديث الشريف (تخلّقوا بأخلاق الله) أي اسعوا للاتصاف بأوصاف الله تعالى التي تعبّر عنها أسماؤه الحسنى، قال تعالى: **[وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا]** (الأعراف: ١٨٠) وقد نفهم **[فَادْعُوهُ بِهَا]** أي فنادوه بها كما ينادى أي مسمى باسمه، وقد يكون بمعنى فاسألوه بها أي من الدعاء بمعنى فتوسلوا إليه بأسمائه المباركة، والأدعية حافلة بذلك كدعاء كميل (اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي قهرت بها كل شيء)[٢] وغيرها من الدعوات المباركة الكثيرة.

فالأسماء الحسنى تعبّر عن حالة سامية تمثل القمة التي يسعى الإنسان الوصول إليها، وأهل البيت (عليهم السلام) مظهر من

---

(١) البحار: ج٣٧ ص١٨٦.

(٢) مفاتيح الجنان: ص٨٩.

مظاهر الصفات الإلهية في فضائلهم وخصالهم وسلوكهم على أرض الواقع، وأسماؤهم لم تطلق عليهم اعتباطاً وإنما بمصداقية تامة.

فهذه الأسماء للزهراء (عليها السلام) هي صفات وخصائص تستحق أن تُجعل أسوة حسنة لكل من يتوق إلى الكمال والسعادة.

فمن اسم (فاطمة) يتعلم الإنسان أن يفطم نفسه من الشر والمعاصي والانحراف، ومن (الصدّيقة) يأخذ درساً في الصدق، ومن اسم (الطاهرة) يستلهم معاني تطهير النفس من الأهواء والطمع، وتطهير القلب من الغل والحسد والحقد وغيرها من الرذائل ومن اسم (الراضية) يحصل على الطمأنينة بقضاء الله وقدره، ومن أسم (المباركة) يتحفز لأن يكون وجوده مباركاً ومحضره محضر خير دائماً وكلامه فيه هدى وصلاح ورشد كما قال تعالى: **[وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ]** (مريم:٣١)، وهكذا الأسماء المباركة الأخرى، وهذا باختصار، وإلا فإن كل اسم يمكن الكلام فيه مفصلاً كما تحدثنا في كتاب (شكوى القرآن) عن صفات القرآن ومعانيها وآثارها.

س٨: على هذا تكون الزهراء (عليها السلام) قدوة وأسوة للرجال والنساء معاً وليس فقط للنساء؟.

سماحة الشيخ: هذا صحيح وهي (عليها السلام) كذلك، بل هي حجة على الخلق أجمعين، وفي ذلك روي عن الإمام الحسن العسكري قوله (نحن حجج الله على خلقه، وجدّتنا فاطمة حجة الله علينا)[١]. وكان الأئمة يفخرون ويتشرفون بأنهم أولاد فاطمة الزهراء ويعلنون ذلك على الملأ، ولا يفخر المعصوم الكامل إلا بمن هو أسوة ومثل أعلى للخلق أجمعين وفي ذلك يقول الإمام

---

[١] راجع المصادر في كتاب السيدة الزهراء (عليها السلام)، دراسة تاريخية٥١٧.

المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في إحدى رسائله (وفي ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لي أسوة حسنة).[١]

السيدة الزهراء (عليها السلام) تعلّمنا على عدم الاتكالية في فعل الخير[٢]

---

[١] نفس المصدر السابق.

[٢] حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من المبلّغات والمدرّسات في الحوزات النسوية في المدينة المنوّرة والإحساء والقطيف وقم المقدّسة يوم الثلاثاء ٢١/ج١/١٤٣٤ المصادف ٢/ ٤/ ٢٠١٣.

الفكر أولاً:

ينطلق الإنسان في تصرفاته من ثقافته ومنظومته الفكرية فقد يقوم بالسلوك الخاطئ لأنه يراه صحيحاً من وجهة نظره، وهذا الانقلاب في القيم والأفكار هو ما حذّر منه النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: (كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً أو المنكر معروفاً)، فإذا أردنا إصلاح سلوك هذا الشخص فلابدّ من تصحيح أفكاره أولاً.

وهذه المشكلة موجودة بشكل كبير في المجتمع النسوي لأنهنّ تعارفن على أمور وتسالمن عليها إلى درجة أنّ الواحدة منهنّ لا تستطيع الخروج عليها لأنّها ستلاقي ضغطاً اجتماعياً كبيراً، رغم أنّ الكثير من هذه الأمور لا يوجد دليل عليها بل أنّ بعضها مخالف للشريعة وفعله معصية فيتحوّل المنكر حينئذ إلى معروف والمعروف يصبح منكراً، والأمثلة على ذلك كثيرة لا أريد الخوض فيها هنا لأنّها تختلف من مجتمع إلى آخر.

والذي أريد أن أتحدّث عنه هنا أحد مكوّنات صنع هذه المنظومة الفكرية عند الإنسان والتي تكون منطلقاً لتصرفاته، وكيفية إصلاحها إذا كنّا بفضل الله تعالى جزءاً من عملية الإصلاح التي قادها الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) قال الله تعالى (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود/٨٨) وقال الإمام الحسين (عليه السلام): (وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي محمد (صلى الله عليه وآله).

ومكوّنات هذه المنظومة الفكرية عديدة، كالدين والتقاليد الموروثة والثقافة والأعراف العامّة، وما يقدّمه صنّاع الرأي العام من كتّاب ومثقفين وإعلاميين، وقد تصنع الثقافة العامّة على شكل كلمات تصير أمثالاً يضربها الناس للاستدلال على صحّة

سلوكياتهم، ولذا نؤكد على أهميّة تأثير الثقافة والأفكار في سلوك الإنسان.

نقد وتصحيح لفكرة (حشرٌ مع الناس عيد):

ومن تلك الأمثال الخطيرة (حشرٌ مع الناس عيد) التي يبرّر بها الكثير إنسياقهم وراء السواد الأعظم في العقائد أو السلوك أو الأخلاق أو المواقف بل حتى في العقائد[1] بحجة أنّ الأكثرية مضوا على هذا، وان الموقف المشهور هو هذا، من دون تمحيص وتحقيق وبحث عن الدليل، رغم أنّ الله تعالى يؤكد في كتابه الكريم أنّ هذه الأكثرية لا توصل إلى الحق ولا تغني عن الحقّ شيئاً (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف/١٠٣) (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ) (الأنعام/١١٦) (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً) (الإسراء/٨٩) (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً) (الفرقان/٥٠) (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) (البقرة/٢٤٣) (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ/ ٢٨) (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (غافر/ ٥٩)، ولو كانت مقولة (حشر مع الناس عيد) تفيد حقاً لحكمنا بصحة العقائد الباطلة لكثرة معتنقيها.

وبالعكس امتدح القلّة الثابتة على الحق (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ) (البقرة/ ٨٣) (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ) (البقرة/ ٢٤٦) (فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ) (البقرة/ ٢٤٩) (فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) (النساء/ ٤٦).

فإذن من الخطأ أن يكون شعارنا (حشرٌ مع الناس عيد) بل (حشرٌ مع الحقّ عيد) فنكون مع الحق ولو لم يكن معنا أحد، وإذا كان الأكثرية على أمر فلا نأخذ به من دون تروٍ وتثبّت ورجوع إلى

---

[1] كالمخالفين لأهل البيت (عليهم السلام) الذين لا يملكون الدليل مقابل أحقّية أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة فيتمسكون بأنّه أمر واقع سار عليه أكثر الصحابة ونحن نتبعهم، وكذا تشتهر بعض المرجعيات ويكثر اتباعها بلا حجّة سوى هذه المقولة المصطنعة.

أهل الاختصاص قبل الأخذ بها ولا نستوحش الطريق لقلّة سالكيه كما عبّر أمير المؤمنين (عليه السلام).

ما هو المراد بقولنا (السعيد من اكتفى بغيره)؟

والكلمة المشهورة الأخرى (السعيد من اكتفى بغيره) ولا أعلم إن كان لها منشأ من الأحاديث الشريفة أو لا، وقد يكون لها مورد تصح فيه فإنّ من سعادة المرء مثلاً أن يكون مكفول الرزق والمؤونة كما ورد في الأحاديث الشريفة عن طالب العلم، فهذا من السعادة أن يكون فارغ الهم من طلب المعاش.

لكن هذه الكلمة استُخدمت مبرّراً للتقاعس عن كثير من الأعمال الصالحة بإيكال الأمر إلى من يقوم به كإرشاد الناس وتعليمهم الأحكام وتدريس العلوم الدينية، وإمامة الصلاة والتبليغ في البلدان الأخرى ونشر الوعي والإصلاح وهكذا.

وتطورّت هذه الثقافة إلى ترك واجبات مهمّة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعنوان أنه واجب كفائي لا يتعيّن عليه شخصياً القيام به ولعل غيره يفعل ذلك وهكذا.

وفي هذا خطر على الأمة لأنّ حالة (التواكل) تسبّب ضياع المعروف وضعف أهله وتفشّي المنكر وتقوية فاعليه، وفيه أيضاً ضرر على الفرد نفسه بتضييع فرص مهمّة لطاعة الله تعالى والتقرّب منه.

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إذا أمّتي تواكلت ((تواكلوا)) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله).[١]

وعن امير المؤمنين (عليه السلام): (عليكم بأعمال الخير فتبادروها ولا يكن غيركم أحقّ بها منكم).[٢]

---

[١] وسائل الشيعة، أبواب الأمر والنهي، باب ١ ح٥.

[٢] غرر الحكم: رقم ٦١٥١.

وعنه (عليه السلام) قال: ـ(افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً فإنّ صغيره كبير و قليله كثير ولا يقولنّ أحدكم أن أحداً أولى بفعل الخير منّي فيكون والله كذلك، إنّ للخير والشرّ أهلاً فما تركتموه منها كفاكموه أهله).[1]

ومن أعظم أعمال الخير والطاعات التي أمرنا بالمسارعة إليها واستباقها والمبادرة إليها هي التفقه في الدين ونشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) وإرشاد الناس وتعليمهم وتوعيتهم، خصوصاً في المجتمع النسوي الذي يحتاج إلى جهد مضاعف لطول الحرمان والعوائق التي صنعها المجتمع ونحوها من الأسباب.

مبادرة الخير في فكر السيدة الزهراء (ع):

وهذه من الوظائف المهمة التي قامت بها الصدّيقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) ولم تقل للنساء اذهبن إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو أوصلوا مسائلكم عن طريق أزواجكم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنّها لا تريد أن تحرم نفسها من هذه الطاعة العظيمة.

روي في تفسير العسكري (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت : إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء ، وقد بعثتني إليك أسألك . فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك ثم ثلثت ، فأجابت ، ثم ثلثت فأجابت إلى أن عشرت فأجابت ، ثم خجلت من الكثرة ، فقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة عليها السلام: هاتي و سلي عما بدا لك ، أرأيت من اكترى يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، و كرائه مائة ألف دينار أ يثقل عليه ؟ فقالت: لا . فقالت عليه السلام: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا فأحرى أن لا يثقل عليَّ ، سمعت أبي رسول الله صلى الله

[1] بحار الأنوار: ٦٨/ ١٩٠ عن نهج البلاغة ٤/ ٩٩، قصار الكلمات.

عليه وآله وسلم يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون ، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم ، و جدهم في إرشاد عباد الله . حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نــور. ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد ،الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم ، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم و نعشتموهم، فاخلعوا عليهم [كما خلعتموهم] خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم. ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم و تضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، و يضاعف لهم، و كذلك من بمرتبتهم ممن يخلع عليه على مرتبتهم. و قالت فاطمة عليها السلام : يا أمة الله إن سلكا من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة ، و ما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر).[1]

[1] بحار الأنوار: ج٢ ص٣ ح٣.